

أسرى الحرية

صمود وأمل

كتابه امجد الكروني

تحت إشراف:

زريقي عمارة • جابي صليحة



أسره الكريه

صعود وأمد

ك ن ا ه م ع ل ن ر و ي

مقدمة

في هذا العالم، ليست كل الحكايات تُروى كما حدثت...
بعضها يُكتب بدمعة، وبعضها يُنقش بألم لا يُرى،
وبعضها يُولد من رحم الصمت... لكنه يصرخ في كل كلمة..
إلى كل من يقرأ..
هذا الكتاب ليس مجرد نصوص متفرقة،
بل هو نبض حيّ، يحمل في طياته وجع إنسانٍ سُلبت منه أرضه،
وصوت روح رفضت أن تنكسر رغم كل ما فرض عليها من قهر.
هنا، لم نكتب عن الأسرى كأرقام...
بل كحكايات، كأرواح، كأمهات تنتظر،
وكقلوبٍ تعلّمت الصبر حتى صار وطنًا بديلاً.
هي صفحاتٌ تبدأ من حياة كانت عادية،
ثم تمضي نحو اختبارٍ قاسٍ،
حيث يُطلب من الإنسان أن يتخلى عن ذاته... عن أرضه... عن هويته،
فإما أن ينحني... أو يدفع الثمن.
وفي هذا الكتاب،
اختار أبطاله أن يدفعوا الثمن..
هي رحلة من الحياة... إلى الصراع... إلى الغياب...
حتى النهاية التي لا تُنهي الحكاية،
بل تخلّدها.
نكتب اليوم... لنحفظ الذاكرة،
لنقول إن خلف كل أسير قصة،
وخلف كل قصة إنسان،
وخلف كل إنسان... وطن لا يموت..

بقلم:
زع

تمهيد

الإنسانية هي الضامن الحقيقي لبقاء الإنسان

.....★.....

في موقف لافت سجلته سورة النمل، يُحكى قصة جنسٍ آخر، جنس دائماً ما ننظر إليه نظرةً دونية، أقلّ ما توصف بالاستهانة؛ ربما لأننا نضع جنسنا، الجنس البشري، في مكانة خاصة تتوافق مع نتائج سعيه الطويل في إعمار الأرض، والوصول بالحضارة إلى أعلى درجاتها ومقاصدها، فنظن أننا الأعظم والأجدر بصنع التاريخ وتوارث الأرض، ونستمتع بمعطيات الحضارة التي صنعها الإنسان.

إنها الصورة اللامعة المشرقة لنتاج أفكاره، وثمره العقل البشري الجمعي الذي وصل بها إلى ما يشبه الحلم. حتى أربكه الحلم نفسه، وصار عبئاً يؤرقه: إلى أين سيصل به طموحه وخياله؟ أليس إلى مزيد من السيطرة وإزهاق الأرواح، كثمن أوليِّ لعقدة السيطرة التي تلازمه؟ أما الصورة المظلمة لهذا الإنسان، فيتعمد تناسيها عمداً، فلا يعترف بها ولا بوجودها، على الرغم من قدمها؛ حين تخضبت يداه بدماء أخيه الإنسان، بدافع الحقد أو الغل أو سوداوية القلب أو تفاهة العقل، الذي سقط به في لحظة ليتساوى مع أخط المخلوقات وأحقرها. حين سقط في هوة السيطرة، فلا بقيت صورته الإنسانية، ولا بقيت قدرته على استعادتها، ليوصف معها بالإنسانية.

تأتي سورة النمل لتومض ومضات مرگزة على معاني الحب، والتآلف، والوحدة، والانتماء، الذي ضيَّعه الإنسان في زحمة التكالِب على مفردات الحياة التي يريدتها ويظنها المثلى، ولأجلها تحوّل، وألقى بكثيرٍ من القيم ليدهسها تحت أقدام سعيه الدؤوب لبلوغ هدفه: التملك والسيطرة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾
منتهى الحكمة في مقابل طيش القوة، ورابطة الجنس في مقابل غطرسة فصيل بشري يسعى للسيطرة وتحقيق الذات.

استراتيجية جماعة بسيطة، وهي النمل، تتمحور حول وحدتها وبقائها والحفاظ عليها، في مقابل استراتيجية القوة التي لا تنظر لما وراءها، ولا تكثرث بكلفتها وآثارها على الجميع. صراع الفطرة المتزنة في مقابل صراع الغوغائية والنزعة المتعالية المسيطرة. صراعٌ ظلّت الإنسانية تتقاذفه من جيلٍ إلى جيل، عبر قرونٍ طويلة، كأنه ميراثٌ توجب على البشرية أن تتناقله، وتتعامل معه بالاستراتيجية نفسها، مهما اختلفت أدوار من يقود المشهد، أو جنسياتهم، أو أدواتهم في إذكاء الصراع، لتغدو صورةً مقبّيةً ممجوجة. ليستمر الصراع بين الأقوياء معدومي القيم، وبين الضعفاء المتمسكين بقيم الإنسانية، لتظلّ قيم الإنسانية هي نقطة ضعفهم، التي من أجلها يلاقي العالم ما يلاقيه من ويلات.

حروبٌ تُصنع باسم الأمن القومي للقلّة الحقيرة، تحت شعار حماية الذات، بينما هي في حقيقتها سرقةٌ لمقدّرات البشرية جمعاء، لتخدم فئة بعينها، وليبقى الضعفاء في نفق الجهل والمرض والخوف والاستعباد، قرابين تُقدّم على مذابح الأقوياء، تحت مسمى كبير: "العالم المتقدّم" في مقابل "العالم المتخلف".

وبنفس المنطق الذي أعدم كل قيم الإنسانية، تُزرع دول في أماكن ليست أماكنها، وبأفكار تخالف أفكار الآخرين، ثم يُسلط عليها الضوء كنموذج مذهل للقوة والتقدّم، وكحارس على الحضارة الإنسانية وسموّ الجنس البشري؛ لتضع نفسها في مكانة خاصة ترتكز على ميراث مزيف من الكذب والخداع، قائم على قواعد من الدين والثروة. فتسرق الأرض، وتشنّ الحروب، وتسلب الثروات، وتُحاك المؤامرات بدعم ورعاية الكبار، حراس النظام العالمي، الذي أقل ما يُقال عنه إنه نظام عصابة من قطّاع الطرق، المتخصصين في كل أنواع الأوبئة والأزمات التي تُزلزل وحدة الإنسانية، وتدمّر الوعي الجمعي، وتخلق حالة من الإحباط والحقد الدفين، وتُذكي أسباب الصراع المستمر بين الإنسان وأخيه الإنسان.

وهذه الصورة نُقلت باحتراف إلى منطقتنا، إلى نقطة من العالم هي في الأصل موطن الأديان، وحاضنة القيم الإنسانية التي دعت إليها، وقامت عليها أسس الإنسانية، ليظل الإنسان حافظاً لإنسانيته، لا مُضيعاً لها، متذرّعاً بأي سبب كان. ليأتي ما يُطلق عليه "الكيان"، جسداً غريباً وسط أنقى نقطة في العالم، ليحوّلها إلى ساحة حربٍ كبرى، ويُطبّق على أهلها قواعد اللعبة وقوانين استراتيجية القوة، فيحرق ويقتل ويشرد، دون ميثاق شرف أو رجولة في أي نزالٍ أو صراع. ثم يتمادى، تحت صمت العالم وسطوة الكبار الداعمين، ليأتي بشرائع جديدة يؤسس لها، وهي قتل الأسرى وإعدامهم، مخالفاً بذلك كل الأعراف التي تعارفت عليها الإنسانية عبر تاريخها الطويل، دون خجل. ومع قبح الصورة، ونشوة القوة، وزخم الغرور، توهموا أن بقية الإنسانية لا تقوى عليهم، وليس لها قيمة أو صوت لتقول لهذا العبث: لا، أو تقول: توقّفوا، أنتم تُشوّهون قيم الإنسانية، وحتى قيمة الخيرية والسمو التي تتعالون بها على باقي البشر.

عندما غابت عنكم قيم الإنسانية، غابت معكم قيم الوعي والحكمة التي تميّز بها الإنسان، فأضحى حالكم أسوأ من حال النمل، الذي أدهش نبي الله سليمان وتعجّب منه، ليدرك أن الحكمة التي تفاخر بها، قد سبقه إليها جنسٌ آخر، ظنّ أنه دونه في الرقي، لكنه تفاجأ بحرصه على قيم الجماعة، التي فقدها الإنسان نفسه، ويحاول استعادتها، لعلّه ينجو إن أراد النجاة فعلاً...

بقلم:
د. أسامة أبو الخير

الفصل الأول

طريق

كرمي لعينك

شدوا و جدوا للدفاع طويلا
 عن أمة قد نُكِّلتَ تنكيلا
 رسخت جذورهم جبلاً صلبةً
 في تُربٍ غزّة مصحفاً إنجيلاً
 خرجوا يُباهون النجوم سبيلاً
 ويَتَوَجُّونَ مِنَ السَّما إكليلاً
 والشَّمْسُ ترمُقُهُمُ بعينِ مَحَبَّةٍ
 والبدرُ يَغِيبُ أنجماً وفضيلاً
 ومَضَوْا بعزّة أنفُسٍ وشامة
 كي يُوقِدُوا لأحبة قنديلاً
 ولكي يَصُونُوا للطفولة موطناً
 وليُبَعِدُوا شراً بغي ودخيلاً
 يا فَرَحَهُمُ و الحَقُّ باد فيهمُ
 يا عَزَّهُمُ رامَ الإباء سبيلاً
 هذي النجوم تُضيءُ وجهاً للثرى
 وإذا الثرى بالزهر صار جميلاً
 لم يشتفِ الباغونَ من أحقادهمُ
 لم يكفهمُ قتلُ البطولة غيلاً
 بل أطلقوا النيرانَ نحو طفولة
 راموا بنيران الشقا تهويلاً
 وطني الجريحَ أما كُفيتَ مِنَ الأذى؟
 أترى ثراك مُكحلاً تكحياً؟!
 كم في ترابك من قلوبِ أحبة!
 وكان تُربك تَرتجيه خضياً
 كُرمي لعينك سوف تبقى شامخاً
 بدمائنا تسمو نراك
 جليلاً...

بقلم:

د. غياث حمدي كركة

سوريا • دمشق

إلى متى

كُشِفَتْ أزال لثامها
طمَعُ غدا آثامها
ظَهَرَتْ نواجذها التي
أبدت بها إجرامها
أنيابٌ وحشٍ غادر
قطعتُ بها أرحامها
قتلتُ صغاراً فتيةً
وعجائزاً وريامها
لم يبق من أهل لنا
من لم يدق إيلامها
أخفتُ بسمتها غوىً
بثتُ به إلامها
فتظنُّها من رقة
خير البلاد وهامها
لكنَّ حقدًا خبَّأتُ
أرسيتُ به إظلامها
كم قد دعتُ للسلمِ كم
أرضتُ به نوامها
لكنُّ تبدى بعدها
وهمٌ يزيدُ ضرامها
فتأججتُ فتنٌ لها
حشدتُ لها ألامها
يمنُّ عراقٌ مغربٌ
وشأمٌ ظلمٌ سامها
يا غزّةً كم نالها
مالم ينلُ ظلامها
سودانٌ يا أهلاً لنا
قد أورثتهُ لثامها
فإلى متى يا قومنا
نرضى الغوى وأثامها

بقلم:
د. غياث حمدي كركعة
سوريا • دمشق

غزّة الصبر

غلبتُ جحافلَ عالمٍ متحضّرٍ
و مضتُ لتسمو دون أيّ تجبّرٍ

زعموا بأنّ رجالها جُهاّلتها
وشيوخها ونساءها لم تصبرِ

تالله قد صمدَ الترابُ وبحرّها
وسماؤها ورمالها بتدبّرِ

ألّمتُ فكانَ مصابها أيقونةً
للعرزّ للعلياّ للمتصبرِ

لم يثنها عن صبرها نيرانهم
أحقادهم وجنونُ حربٍ مُقبرِ

صوّرُ الطفولةِ تستثيرُ مشاعراً
ولهيبَ وجدانٍ لكلّ مُخبّرِ

بلغتُ سماءَ المجدِ في عليائها
ورعتُ نجوماً في الثرى لم تُقبرِ

رضيَ الإلهُ البرُّ عن شهدائها
صبرٌ جميلٌ يا أختيُّ فاصبري..

بقلم:

د. غياث حمدي كركعة

سوريا • دمشق

نهج الحق

أَلَا خَزِي الأَثِيمُ وما استقاما لنهج الحقِّ بل كال اتَّهما
 تَضَجُّ الرِّاسِيَاتُ لهولِ شرِّ يدك الأَرْضَ يجعلُها حُطامًا
 تنوءُ سماءُنا ممَّا تعاني يفيضُ البحرُ من دمع الأيامي
 وأعرابُ دَعَوْا خانُوا عهودا لِخوتهم ولم يرعوا ذماما
 بدعم قريظة أو قينقاع أليسوا أهلهم وهم النشامي
 كأنَّ العُربَ أضحووا للأعاد كصيد وافر صاروا طعاما
 فذا لبنان يُقصفُ كلَّ يومٍ بغزاة قتل الشعب انتقاما
 بلاد الشام مرتعٌ كلُّ وحش يُغيرُ ويحمل الموت الزواما
 وبيننا يُقتل الأهلون ظلماً صهاينة وأعراب ندامي
 يسامرُ بعضهم بعضاً ويلهو ولا يُبدون للأمر اهتماما
 عهودُ الذلِّ وقَّعها ملوكُ فصارت مثل دستور لجاما
 وبات الناس لا يرجون خيراً أيرجى خيرٌ من رام انقساما
 وهل في النار للظمان ماءٌ وهل نُهدي لقتالٍ ونأما
 فهبوا يا بني قومي كراما ولا تدعوا إلى الجبن انهزاما
 فأرض الطهر ترويه دماءً وتأبى كلُّ رجس أو أثاما
 و صونوا قبلةً صارت ضراما إلام الخلف يا قومي إلاما
 ولا تهنوا فأنتم أهل حقٍّ أميطوا عن شجاعتكم لثاما
 فمن صان الحقوق غدا حُساما يهاب الموت من غشي الحماما

جَهام: سحاب لا ماء فيه

الحمام: الموت

بقلم:

د. غياث حمدي كركة

سوريا • دمشق

إننا قادمون

ياسماءَ بغزّة خبّرنا كيف تبكيهم ذكاءً أنينا خبّرنا
 عن طفلهم كيف أضحى بيد الموت يجتبيه حزينا
 كيف من أجل تربة طهور تُبدل الروح تغلب السكينا
 كيف باحوا بحبهم لبلاد كتبوا بالدم المنون رصينا
 يا صغاراً بغزّة
 علمونا

منهجاً نقتدي فنحن دُعينا كم دروسٍ منها تعلّم نشء من صغيرٍ أو من كبيرٍ يُرينا
 علمونا

مزيداً من العمر نغدو في رحاب الهدى نُعلي جبيننا
 علمونا

كيف الحياة نضالٌ كيف نحيا كرامةً تُحيينا
 علمونا

أنّ الترابَ ثمينٌ يدفع الدمّ مهره لسينا
 علمونا

أنّ الشهادة عزٌّ ناله القومُ صادقين يقينا
 علمونا

أن نزرع الأرض طهراً يُنبئ الصبر في الثرى تئينا
 فيبيد العدا يُحرّر أرضاً يُرجع العربُ بعدها ما نسينا
 يلهج الكونُ بالثناء عليهم قدّموا الأهل أنفساً وبنينا
 أيّ مستقبلٍ يراه صغيرٌ وهو يلقي المصير موتاً دفيناً
 إنّ حلم الحياة وهم خداعٌ بدد الوهم إذ نرى تشرينا حدّثينا
 عن طفلهم يا ذكاءً أخبرينا
 عن معجزٍ أخبرينا حدّثينا
 عن راية النصرِ قولي غزّة اليوم بالدم تفدينا

بقلم:

د. غياث حمدي كركة

سوريا • دمشق

غزّة العزّة

أمّن الوفاءً أيا حبيبةً نَسْمُرُ
 وبغزّة التّيرانُ كيف تُسوّرُ
 لم يُبقِ أعداءَ الحياة لها سوى
 شيئاً من الأنفاسِ فهي تُصَبِّرُ
 قد طالها بغّي الجُناة وما رَعُوا
 إنسانها أطفالها فتجَبَّرُوا
 هدموا المنازل والمساجد والبنى
 قتلوا الحياة بقصفهم وتبختروا
 والعالم الحرّ العظيم مُباركُ
 أعمال إجرامٍ لهم ومُيسَّرُ
 دمعُ الشكالي حَرُّهُ فاق اللظى
 ودمُ البطولةِ راسخٌ متسمَّرُ
 سجدت دماءُ العاشقين لأرضها
 والحبُّ ديدنهم فسالت أنهرُ
 لا لن يساومَ أو يبيعَ ترابها
 أبطالُ صدق هُم شبابٌ أنصرُ
 نذروا دماءهم الزكيّة للعدا
 قاموا بفضلِ الله كي يتحرّروا
 أرواحهم باعوا لأجلِ قضيّة
 لم يخفروا عهداً ولم يتنكروا

بقلم:

د. غياث حمدي كركة
سوريا • دمشق

الطريق

زال القناع يعرّي تلکم الدول . إبليس يستر وجه الغدر مختجلا
 تاريخهم إذ يعيد اليوم ساسته أحقاد شرك هوى من غيّه وجلا
 يدعون رأساً لأمريكا لهم سندا معبودهم وهنهم يُعلونه هبلا
 تاريخهم إذ يعيد الأمس يوقظنا يحكي لنا اليوم والأزمان والأزلا
 أحقاد خبير ساموا الناس خسفهم والظلم يخطر في قدس بكر بلا
 أين الطريق إلى قدس الجليل وكم في عسقلان ترى جوعاً ملا سبلا
 إن كنت تسأل عن أهل فيا عجباً أشلاء غزّة تُنبئكم بما حصلنا
 قوم سَعُوا وإله الكون غايثهم كفراً بجبت وطاغوت بغى و صلى
 لبوا نداءهم فاضت دماؤهم حبل الوداد برّب العرش قد وُصلا
 باعوا الإله نفوساً تستنير به كفاهم الله إذ نالوا به الأملنا
 شبائبهم تخجل الأعمار حين ترى أنوارهم في الدجى تكسوهم حُلا
 تغيب تغبط غيرى ثلّة ثبتوا تدعو الإله يزكي ذلك العملا
 أمّا الرجال فكم في الساح مصرعهم يوحى المهابة والإجلال والأملا
 هذا صنيعهم للعزّ مكرمةً لله درهم إذ أصبحوا مثلا
 يا أمة العرب قومي غير واهنة غرب وشرق وحكام من العملا
 ماذا نقول أمام الله يا عرباً والصمت يقتل أطفالاً وأيّ بلا

إسلامنا ديننا قرآننا ثقل ستندمون إذا عن ذلكم سألا
 إمام مع الحق يرقى نوره صعداً أو يرتمي في مهاوي العار معتللاً
 لم يترك الشر نوراً يُستضاء به طفلاً يُقتل شيخاً نسوة رجلاً
 أما ترون سيوف الشرك مشرعةً تحمي أئمة غدر قتلوا الرُّسلا
 يا أمة المصطفى قومي ملبية أصداء غزّة هيا واتركي المِلا
 لا تكثري الشجب والتنديد رافضةً فالقدس تدعو كفاكم حسبكم خجلاً
 أطفال غزّة يوم العرض خصمكم إذ تُسألون فهل أعدتُم حِيلاً
 احموا فلسطين تحميكم تشفعكم وادعوا إلى الحق يغفر ذنبكم جُملاً
 وأمطروهم رصاص الله ينسفهم سجيل تأخذهم للنار مرتحلاً
 هذا الطريق ولا درب سواه ألا كونوا مع الله يجعل دربكم ذُلاً

بقلم:

د. غياث حمدي كركة
سوريا • دمشق

آلاء النَّجَّار

اللهُ أكبرُ يا أمَّ الأجاويدِ
أدمى الفؤادَ مُصابُ الغيدِ والصِّيدِ

لم يُنسها ألمُ الحدثانِ أنَّ لها
دوراً تقومُ به رِغمَ التناهِيدِ

أولادها تسعةٌ في لحظةٍ فُقدوا
واغتالهمُ شرٌّ من في الأرضِ والبيدِ

ألفَتْهمُ جُثّاً أشلاءً فحَمَّها
قصفٌ أريدُ بهم من غيرِ تمهيدِ

أنتِ وقاتلتِ تقبلي يا إلهي فما
وُلدي بأفضلٍ من أهلِ الأخاديدِ

لُقمانُ يحيى ركانُ إيْفُ رسلانُ
جبرانُ ريفانُ سيدرا أيُّ تسهيدِ

نالوا الشهادةَ والأرواحُ ترمقُهمُ
سِدينُ هلاً استمعتُم للأغاريدِ

جلَّ الإلهُ فأهداني كرامتَهُمُ
قربانُ غزّةٍ وُلدي بل همُ عيدي

أديتُ حقك ربِّي؟ هل رضيتَ به؟
هذي الأمانةُ قد حُمِلتُ في جيدي

رُحماك ربِّي صَبَرنا في البلاءِ فيا
شرَّ الخلائقِ زيدي أو لنا كيدي

بقلم:
د. غياث حمدي كركعة
سوريا • دمشق

ابن الشهيد

رأيتُ أبي وهو يأتي بينكم... أين هو؟
 خرج يدافع عنّا، عن وطننا مثلكم... أين هو؟
 عدتم أنتم... وهو لم يعد.
 ازداد الخوف في قلبي، وخفق الحنين.
 أسيعود بعدكم؟ إياكم أن تقولوا لي: لا...
 وجهُ أبي، ويدها فوق أكتافهم مرفوعتان،
 وفي وجهه رأيتُ الرضا، وعيناه مغمضتان.
 ولمحتُ جرحاً في صدره... يا قوّة ياسين،
 كم من رصاصةٍ غدر استقرت في قلبٍ حزين!
 وصرختُ... وصرختُ:
 فداكِ أرواحنا جميعاً، وتبقيين حرّةً يا فلسطين!
 ومات أبي...
 وحلفتُ: لن أعود يا أبي، ولن أتقبل عزاءك،
 حتى آخذ بثأرك، وأحقّق رجاءك.
 وكما دُفنت يا أبي، ومع أجدادك،
 أمني أن أكون يوماً مدفوناً معك.
 يا قدسي... يا قلب الوطن، نحن فداك،
 نحن فداك...

بقلم:

سامي جودة محمد

• مصر •

غزّة

غزّة... أمّك تصرخ: ألحقوا أولادها و عيالها.
 تنادي: من يسمعك يا أمّ غزّة؟
 عزوتك واقفة في مكانها، لا تدري ما الذي حدث ولا ما جرى لها.
 أين أيديهم؟ لا تجدونها... كُبلت الأيدي.
 وصوتك لا يعود إلى الأرض... لقد أطفئ في المدى.
 زمن الشهامة يا أمّي قد رحل، ورحل معه رجالها.
 لا هؤلاء حمايتك يا أمّي، ولا ذاك وطنها.
 آه يا أمّ غزّة... آه يا غزّة.
 اصرخي... من يسمعك؟
 جرحك وحدك من يوجعك،
 ونحن نغمض أعيننا... كفانا وداعك.
 لك ربّ قادرٌ عليهم، يأخذ بحقك ويحرّرك،
 هو سبيل نجاتك، وهو سلاحك ومدفعك.
 آه يا أمّ غزّة... آه يا غزّة.
 اصمدي... فإني عائدٌ من نفسي،
 أهدم أسوار المواجه،
 وأهدم معبدهم عليهم، فلا يرون النور في أعينهم.
 يا ربّ... أنا ممدودُ اليدين،
 وأمتك منعت يديها،
 استكثروا عليها الشهادة،
 ونسوا وصية نبيهم.
 آه يا غزّة... آه يا أمّ غزّة...

بقلم:

سامي جودة محمد

• مصر •

الفصل الثاني

يَقِينُ

حين تتكلم الجدران

لم يكن الليل في الزنزانة رقم (17) يشبه أي ليلٍ مرّ على بشر. في الخارج، الليل هو سكون الروح وهدوء الصخب، أما هنا، فالليل كائن هلامي أسود، يمد مخالبه في الزوايا الرطبة، يمتص الأكسجين الضئيل ويترك للأسرى بقايا هواء مشبع برائحة العفن والصدأ والانتظار. كان ياسر قد تعلّم مع مرور الأيام أن يقيس الزمن ليس بحركة العقارب التي لا يراها، بل بمدى قدرة جسده النحيل على احتمال برودة الإسمنت، وبمدى قدرة روحه على التمدد داخل مساحة لا تتجاوز المترين.

كانت الجدران في تلك الغرفة الضيقة رطبة، كأن الحجارة نفسها تشعر بالقهر فتبكي بصمت شفقةً على من تُحبس أنفاسهم خلفها. الضوء لا يدخل إلا متسللاً، متردداً من شقّ ضيق في أعلى السقف، كأنه يخشى أن يعاقبه السجن إن هو منح هؤلاء المنسيين بصيص أمل. كان ياسر يجلس كل ليلة في نفس الزاوية، تلك التي حفرت في ظهره علامة لا تمحى، يحدّق في الفراغ الذي تحول بفعل الوحدة إلى مرآة يرى فيها شريط حياته المفقود.

كان يرى هناك، في تلك العتمة، تفاصيل دقيقة لبيته الوداع في فلسطين. يرى أمّه وهي تخبز "الطابون" في الفجر، يرى البخار المتصاعد الذي يختلط بدعواتها الصباحية، ويسمع صدى

صوتها الرخيم وهي ترتل قوله تعالى:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48]

كانت هذه الآية هي الحبل السري الذي يصله بالحياة كلما شعر أن الجدران بدأت تضيق لتطبق على صدره.

في الماضي القريب، كان ياسر شاباً يمتلئ بالحياة كحبة قمح في أرض خصبة. لم يكن يطمح لبطولات أسطورية تملأ كتب التاريخ؛ كانت أحلامه متواضعة كحجم يديه الكادحتين: أن ينهي دراسته الجامعية، أن يرى تجاعيد والده تسترخي وهو يفتخر بنجاح ابنه، وأن يظل ينعم بضحكة أمه التي كانت بالنسبة له بمثابة "تميمة" تحميه من عثرات الطريق. لكن الاحتلال لا يستأذن الأحلام قبل وأدها، وفي فجر لعين، تحولت السكنينة إلى زلزال. اقتحموا البيت بصرخات وخطوات ثقيلة، حطموا الأبواب الخشبية بفضاظة، وأيد قاسية سحبتة بعيداً. تذكّر فقط صوت أمه وهي تصرخ في وجه الفوهات المصوبة نحو صدره: "خذوني بدلاً عنه! خذوا روحي واتركوا قلبي!"، لكنهم لم يفعلوا، أخذوه وتركوا خلفهم بيتاً مفتوح الأبواب على ريح الفقد، وقلباً معلقاً على عتبة الانتظار.

في الأيام الأولى داخل السجن، كان ياسر يخدع نفسه بـ "أمل كاذب". كان يظن أن الأمر سحابة صيف عابرة، "أيام قليلة وسأعود"، هكذا كان يهمس لنفسه كلما أغلق الباب الحديدي بصريه المرعب. لكن الأيام صارت أسابيع، والأسابيع تحولت إلى سنوات قاسية، واكتشف أن السجن هو المختبر الحقيقي للإنسان؛ حيث لا يُختبر المرء في قدرته على احتمال الألم الجسدي فحسب، بل في قدرته على مواجهة "الانتظار" الذي هو أشد أنواع العذاب.

كانت الأم هي البطلة الغائبة الحاضرة في كل لحظة. كان يتخيلها في كل فجر، تقف عند النافذة، تمسح الغبار عن صورته، وتضع طبقه المفضل على المائدة ثم ترفعه بصمت والدموع تغالبها. كان يخاف عليها من "الانتظار" أكثر مما يخاف على نفسه من السجن. الانتظار في الخارج سجن آخر، سجن بلا قضبان، حيث تسكن الأم في ترقب دائم لكل طريقة باب، ولكل رنين هاتف.

بعد سنوات من الشوق المضني، سُمح له بكتابة رسالة واحدة. جلس ياسر طويلاً أمام الورقة الصغيرة التي بدت له كأنها تتسع لكل وجع العالم. بدأ يكتب بمداد من روحه: "أمي.. يا قرة عيني، إن وصلتك هذه الكلمات، فاعلمي أنني لم أنكسر. الجدران عالية يا أمي، لكن دعواتك كانت السلم الذي أصدت به إلى السماء كل ليلة. أنا بخير، فلا تقلقي على جسد تحميه روحك. هل ما زلت تزرعين الياسمين عند مدخل البيت؟ أرجوك لا تتعبي من الانتظار، فلقاؤنا هو وعد الله الذي لا يُخلف".

مرّت الشهور بعد الرسالة كأنها دهور، ولا ردّ. ثم سنة.. ولا شيء. بدأ الشك ينهش قلبه، هل وصلت الرسالة؟ هل صودرت؟ أم أن أصابع أمه لم تعد تقوى على الإمساك بالقلم؟ في تلك الفترة، كان أبو سالم بجانبه دائماً، يذكره بقوله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 155-

[156]

وفي صباح اتسم ببرودة غير طبيعية، نُودي على اسمه. لم يكن نداءً لزيارة أو "فورة". تقدّم ياسر بقلبٍ يرتجف، ليرى السجن يقف ببرود وجفاء، وبكلمات حادة كالخنجر قال له: "لقد توفيت والدتك".

سقطت الكلمة كصاعقة شطرت روحه نصفين. لم يسقط ياسر أرضاً، ولم يصرخ، بل شعر أن كل ما حوله قد تجمد. عاد إلى زنزانته، جلس في زاويته المعهودة، وتذكر كل شيء: رائحة ثوبها، ملمس يدها وهي تمسح على رأسه، وصوتها وهو يناديه للصلاة. همس للجدار: "هل قرأت رسالتي يا أمي؟ هل متت وانت تنتظرين؟". في تلك الليلة، لم ينم ياسر، بل نظر إلى ذلك الشق الضيق في الأعلى، حيث يدخل الضوء، وقال بصوت مخنوق: "أمي.. إن لم تصلك كلماتي على الورق، فلتصلك روعي في ملكوت السماء. أنا ما زلت هنا، لم أنهزم، وسأخرج لأجلك".

بعد سنوات أخرى من الصبر الذي يشبه صبر الأنبياء، جاء اليوم الموعود. فُتح الباب الحديدي، ونادى السجن اسمه بضجر

. خرج ياسر إلى الشمس، وكانت الشمس ساطعة بشكلٍ مؤلم لعينين اعتادت العتمة. مشى في الشوارع التي تغيرت ملامحها، لكن رائحة الأرض كانت هي نفسها. عاد إلى بيته، إلى الباب نفسه الذي سُحب منه يوماً ما.

تعرف في شهره الثالث على "أبو سالم"، رجل ستيني قضى نصف عمره خلف هذه القضبان حتى صار وجهه يشبه تضاريس الأرض الفلسطينية، بعينين تحملان تاريخاً من الحكايات التي لا تنتهي. كان أبو سالم يمثل "البوصلة" لياسر وللبقية. قال له ذات ليلة والبرد ينهش عظامهم: "يا بني... لا تخف من السجن، خف من أن يسرق منك نفسك. إذا نسيت من أنت ولماذا أنت هنا، فقد هدموا جدرانك الداخلية قبل الخارجية". لم يفهم ياسر المعنى تماماً حينها، لكنه حفظ الجملة كأنها تعويذة، واستحضر معها قول الله تعالى:

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5-6]

مرّت السنوات، وتحوّلت الزنزانة إلى عالم قائم بذاته. هناك، تعلّم ياسر لغة لم تدرسها الجامعات: "لغة الطرقات". صار الجدار الذي يفصله عن إخوته في الزنازين المجاورة هو وسيلة التواصل الوحيدة. نقرتان تعني "صباح الصمود"، ثلاث نقرات تعني "أنا بخير"، وسلسلة طويلة متسارعة من الطرقات تعني "أنا أتألم.. لا تنسوني من دعائكم". في إحدى الليالي، سمع بكاءً خافتاً يأتي من الجدار الملاصق لسريره. لم يكن بكاءً ضعيف، بل كان أنين روح أضناها الشوق. طرق ياسر الجدار بخفة: "من هناك؟". جاءه صوت شاب مرتجف: "أنا.. لا أعرف كم مر من الوقت، أخاف أن أمني نسيت ملامح وجهي". ابتسم ياسر بمرارة وهمس: "الأمهات في فلسطين لا ينسين ملامح أبنائهن، بل ينقشنها على جدران قلوبهن".

دخل ببطء، لم يجد أمه تستقبله بالأحضان والزغاريد، لكنه وجد رائحتها تسكن الزوايا. وجد صندوقاً خشبياً صغيراً في غرفتها، فتحه بيدين ترتجفان، ليجد رسالته هناك! كانت مفتوحة، ومجعدة، وعليها آثار بقع جافة.. لقد كانت دموعها. وبجانبها، ورقة كتبت بخط ضعيف ومرتعش: "ابني الغالي ياسر.. وصلتني رسالتك، وكانت هي النبض الذي أعيش به. كنت أعلم أنك قوي، وكنت أعلم أنك ستعود.. حتى لو لم أكن خلف الباب، سأكون في انتظارك عند باب الجنة. ارفع رأسك، فابن هذه الأرض لا ينكسر".

جلس ياسر على الأرض، ضم الرسالتين إلى صدره وبكى كما لم يبكي من قبل. بكى سنوات السجن، وبكى شوق الأم، وبكى الحرية التي جاءت متأخرة عن لقائها. لكنه في تلك اللحظة، شعر بالتححرر الحقيقي، ونظر إلى السماء مبتسماً وهو يتمتم بقوله تعالى:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22]

خرج ياسر إلى شرفة البيت، نظر إلى شجرة الزيتون الصامدة في الحديقة، وأدرك أن الحكاية لم تنته بموت أمه أو بخروجه من السجن، بل بدأت الآن؛ ليكون هو الشاهد على أن الجدران مهما تعالت، لا يمكنها أن تحجب شمس اليقين.

النهاية...

بقلم:

• جابي صليحة

• زروقي عمارية

• الجزائر

السجن ليس موتاً... بل ولادة أخرى للإرادة

في الزنازين الضيقة، حيث يُراد للإنسان أن ينكسر، تنبثق أعظم صور الصمود. هناك، خلف القضبان، لا تُدفن الإرادة، ولا تُطفأ الرغبة في الحياة، ولا تُمحي فكرة التحرر. بل على العكس، تتحول المعاناة إلى وقود، ويتحول القيد إلى شهادة على أن الحرية تستحق أن يُدفع ثمنها. هذا هو حال أسرى فلسطين؛ أولئك الذين لم يُسجنوا لأنهم ضعفوا، بل لأنهم كانوا أقوى مما يحتمله السجن.

السجن في ظاهره قهر، لكنه في جوهره امتحان. امتحان للروح قبل الجسد، وللفكرة قبل الإنسان. يحاول المحتل من خلاله أن يكسر المعنى، أن يزرع اليأس، أن يجعل من الزمن أداة نسيان. لكن الأسرى يقلبون المعادلة؛ يجعلون من الوقت فرصة للتجذر، ومن العزلة مساحة للتأمل، ومن الألم مدرسة للثبات. فهم لا يرون أنفسهم ضحايا، بل حراساً لذاكرة لا يجوز أن تُمحي.

حين يُنتزع الإنسان من أرضه، من أهله، من تفاصيل يومه، يُفترض أن يذبل. لكن الأسير الفلسطيني لا يذبل؛ لأنه يحمل وطنه في داخله. كل جدار في الزناينة يتحول إلى صفحة، وكل لحظة صمت تتحول إلى قصيدة، وكل يوم يمر يصبح خطوة نحو الحرية، حتى وإن طال الزمن. إنهم لا يقيسون الحياة بطولها، بل بعمقها، بقدرتها على أن تظل حرة رغم القيود. السجن يريد أن يجعل من السجن نهاية، لكن الأسير يجعله بداية. بداية وعي أعمق، بداية ارتباط أشد بالأرض، بداية يقين بأن الحرية ليست حالة جسدية فقط، بل موقف داخلي لا يُهزم. ولذلك، ترى الأسير يخرج من سجنه أكثر صلابة، أكثر وضوحاً، وأكثر إيماناً بأن الطريق الذي اختاره، مهما كان قاسياً، هو الطريق الصحيح.

ليست المعاناة وحدها ما يميز تجربة الأسر، بل القدرة على تحويلها إلى فعل مقاومة. فالإضراب عن الطعام، على سبيل المثال، ليس مجرد احتجاج، بل إعلان بأن الجسد نفسه يمكن أن يصبح سلاحاً. حين يختار الأسير أن يجوع، فإنه يقول للسجن: "لن تملك إرادتي، حتى وإن ملكت جسدي". هذا الفعل البسيط في ظاهره، العميق في معناه، يهز أركان القوة، لأنه يكشف هشاشتها أمام إرادة إنسان أعزل.

الأسرى لا يقاومون فقط من أجل أنفسهم، بل من أجل شعب كامل. هم صورة مكثفة لمعاناة شعب، لكنهم أيضاً صورة مكثفة لأمله. كل أسير هو قصة، وكل قصة هي جزء من رواية أكبر، رواية شعب يرفض أن يُمحي. ولذلك، فإن الحديث عن الأسرى ليس حديثاً عن أفراد، بل عن قضية، عن حق، عن كرامة.

في السجن، تُختبر العلاقات الإنسانية بأقصى صورها. يُحرم الأسير من عناق أمه، من ضحكة أطفاله، من دفء البيت. لكن هذا الحرمان لا يقتل الحب، بل يضاعفه. يتحول الاشتياق إلى قوة، وتصبح الذكريات جسراً يربط الأسير بالحياة خارج القضبان. إنهم يعيشون على الأمل، على فكرة اللقاء، على يقين بأن هذا الغياب لن يدوم...

ولعل أكثر ما يخشاه السجان هو أن ينسى العالم هؤلاء الأسرى. لأن النسيان هو شكل آخر من أشكال الموت. لكن الأسرى يرفضون أن ينسوا. يكتبون، يتعلمون، يناضلون، يبتكرون طرقاً ليبقوا حاضرين في الوعي الجمعي. هم لا ينتظرون الحرية فقط، بل يصنعونها بطريقتهم، داخل السجن وخارجه.

السجن ليس نهاية الحلم، بل امتحانه الحقيقي. فالحلم الذي لا يُختبر بالمعاناة قد يكون هشاً، أما الحلم الذي يصمد في وجه القهر، فهو حلم حي، قادر على الاستمرار. والأسرى الفلسطينيون هم حراس هذا الحلم. يحملونه في قلوبهم، يحافظون عليه من الانكسار، وينقلونه من جيل إلى جيل.

إنهم يعلموننا أن الحرية ليست مجرد شعار، بل مسؤولية. وأن الصمود ليس حالة عابرة، بل خيار يومي. وأن الإنسان، مهما ضاقت به الظروف، يستطيع أن يبقى إنساناً، أن يحافظ على كرامته، أن يرفض الاستسلام. هذه هي الرسالة التي يبعث بها الأسرى من خلف القضبان: أن الإرادة لا تُسجن، وأن الحياة لا تُختزل في مكان، وأن الأمل أقوى من كل القيود.

في النهاية، يبقى السؤال: ماذا يعني أن تكون حراً؟ هل الحرية هي أن تتحرك بلا قيود، أم أن تظل متمسكاً بقيمك مهما كانت القيود؟ الأسرى الفلسطينيون يجيبون على هذا السؤال بالفعل، لا بالكلام. هم أحرار، رغم السجن، لأنهم لم يتخلوا عن حقهم، لم يساوموا على كرامتهم، ولم يستسلموا لليأس.

وهكذا، يصبح السجن شاهداً لا على ضعفهم، بل على قوتهم. شاهداً على أن الإنسان قادر على أن يتجاوز حدود الجسد، أن يحول الألم إلى معنى، وأن يجعل من المعاناة طريقاً نحو الحرية. إنهم لا يعيشون فقط، بل يقاومون، لا يصمدون فقط، بل يُلهمون. السجن ليس موت إرادتهم، ولا رغبتهم في الحياة والبناء والتعمير، ولا محواً لفكرة عدم الاستسلام للمحتل... بل هو، في الحقيقة، الدليل الأوضح على أن هذه الإرادة لا تموت، وأن هذه الرغبة لا تنطفئ، وأن هذه الفكرة لا تُمحي...

بقلم:
• جابي صليحة
• الجزائر •

من السجن إلى الحلم...

حكاية الإنسان الذي يبدأ من جديد في هذا العالم، هناك من يعيشون أعمارهم كما هي، تمرّ بهم الأيام بهدوء، وتتشابه عندهم السنوات، وهناك من تتشكل أعمارهم من الألم والصبر والانتظار الطويل. أولئك الذين قضوا سنوات خلف القضبان، أو عاشوا في أماكن حصرها الخوف والحرمان، لا يمكن قياس أعمارهم بالزمن فقط، بل بما حملته أرواحهم من ثقل التجربة وعمقها. السجن ليس مجرد جدران تُغلق، ولا أبواب تُقيد، بل هو امتحان قاس للإنسان من الداخل. هو مساحة ضيقة، لكن تأثيرها واسع، تمتد إلى القلب والفكر والذاكرة. في السجن، يتعرّى الإنسان من تفاصيل حياته اليومية، من حرّيته البسيطة، من اختياراته، من قدرته على أن يكون كما يريد. لكنه في المقابل، يكتشف شيئاً آخر... يكتشف نفسه. تمرّ الأيام هناك ببطءٍ شديد، وكأن الزمن يتعمّد أن يثقل على من بداخله. تتكرر اللحظات، وتتداخل الأيام، ويصبح الانتظار هو العنوان الأكبر. ومع ذلك، هناك من لا يسمح لهذا الانتظار أن يتحوّل إلى هزيمة. هناك من يُبقي في داخله شعلة صغيرة من الأمل، يعتني بها، يحميها، ويؤمن أنها يوماً ما ستكبر وتضيء طريق الخروج. وفي فلسطين، تتخذ هذه الحكاية بُعداً أعمق. فالسجن هناك ليس مجرد تجربة فردية، بل هو جزء من واقع يعيشه كثيرون. هناك، يصبح الغياب مألوفاً، وتكبر العائلات على أمل عودة طال انتظارها. وفي غزة، يتجاوز الأمر حدود الزنازين ليصبح الحصار شكلاً آخر من القيود. ومع ذلك، تستمر الحياة، ويصرّ الناس على أن يعيشوا، وكأنهم يكتبون كل يوم درساً جديداً في الصمود.

و حين تأتي لحظة الخروج، لا تكون النهاية كما يظن البعض، بل تكون بداية مختلفة. يخرج الإنسان وهو يحمل سنوات من الغياب، وذكريات ثقيلة، وأحياناً فراغاً كبيراً تركته الأيام التي لم يعيشها مع من يحب. يجد العالم قد تغيّر، وألوجوه قد تبدّلت، وحتى هو نفسه لم يعد كما كان. لكنه رغم ذلك، يختار أن يبدأ.

الحنين هو أول ما يقوده. حنين إلى بيت قديم، إلى رائحة الأماكن، إلى تفاصيل بسيطة كانت يوماً عادية، فأصبحت اليوم حلماً. يشتاق لأن يجلس مع عائلته دون خوف، لأن يسير في الطريق دون أن يلتفت، لأن يعيش حياةً بسيطة لا أكثر. وفي فلسطين، يشتد هذا الحنين ليصل إلى الأرض نفسها، إلى الزيتون، إلى الحقول، إلى التراب الذي يحمل ذاكرة لا تموت. كثيرون من هؤلاء يجدون في العودة إلى الأرض بدايةً حقيقية. يمسكون بالتراب وكأنهم يمسكون بجزءٍ منهم ضاع، يزرعون، يسقون، ينتظرون، وكأنهم يعيدون ترتيب حياتهم بنفس إيقاع الطبيعة. الأرض لا تسألهم أين كانوا، ولا تُحاسبهم على غيابهم، بل تمنحهم

فرصة صادقة للبدء من جديد. وفي كل نبتة تنمو، يرون انعكاسًا لحياتهم التي تعود تدريجيًا. لكن أكثر ما يؤلم... هو الأبناء. أولئك الذين كبروا بعيدًا، الذين تغيّرت ملامحهم، وربما تغيّرت علاقتهم أيضًا، ذهبت برائتهم قبل أوانها..

يخرج الأب أو الأم ليحاولوا تعويض سنوات لا تُعوّض، ليبنوا جسورًا من القرب، ليقولوا دون كلمات: "نحن هنا الآن". إنها رحلة أخرى، لا تقل صعوبة عن السجن نفسه، لكنها مملوءة بالحب هذه المرة.

ورغم كل ذلك، يبقى الأجل في هذه الحكايات، أن أصحابها لا يعودون كمن هُزموا، بل كمن تعلّموا. لا يحملون فقط آثار الألم، بل يحملون أيضًا قوة هادئة، ناضجة، تعرف قيمة الأشياء الصغيرة. يعرفون أن الحرية ليست فقط في فتح الأبواب، بل في القدرة على أن تحلم من جديد، أن تحب، أن تبني، أن تبدأ دون أن تخاف.

في غزة، ليس السجن كما في السجون، ليس كما في كل مكان عرف القيد، هناك دائمًا من يثبت أن الإنسان يمكن أن يُؤخذ منه الكثير، لكن لا يمكن أن يُهزم بالكامل، ما دام داخله شيء يؤمن بالحياة. هؤلاء لا يطلبون المعجزات، بل يطلبون فرصة... فرصة لبنوا بيتًا ضاع تحت الركام، ليزرعوا أرضًا، ليحتضنوا أبناءهم، ليعيشوا حياة عادية كانت يومًا بعيدة المنال. وهكذا، تتحوّل الحكاية من قصة سجن إلى قصة إنسان. من معاناة ثقيلة إلى بداية ممكنة. من جدران مغلقة إلى أفق مفتوح. لأن الإنسان، حين يتمسك بالأمل، لا يعود كما كان... بل يصبح أقوى، أعمق، وأكثر قدرة على أن يصنع من البدايات حياة.

وفي النهاية، ربما لا تكون أعظم انتصاراتهم أنهم خرجوا من السجن، بل أنهم خرجوا وهم ما زالوا قادرين على الحلم... ومن يستطيع أن يحلم بعد كل ذلك، يستطيع أن يبني عالمًا جديدًا، ولو بدأه بحجر صغير، أو بذرة في أرض...

بقلم:
• زروقي عمارية •
• الجزائر •

حبل عقدة النهاية

لم يكن مجردَ حبل،
بل كان فاصلاً بين حُلْمٍ تأجّل... وعمرٍ انسدل.

في فلسطين...
تركوا خلفهم أبواباً نصف مفتوحة،
أكوابَ شاي بردت على عجل،
وظفولةٌ كانت تنتظرُ أن تكبر... لكنّها اكتفت بالوجل.
قالوا لهم: انتهت الحكاية، لكنّهم كانوا يعرفون...
أن الحكاية خُذلت، لأنّها انتهت،
وأن الأمل حين يُخذل... لا يموت، بل يصمت.
يا حبل المشنقة...
كم علقت من أعمار كانت تريدُ أن تُكمل الطريق،
كم قطعت من قلب كان يحلمُ ببيت... بصوت... بصديق.
هم لم يخافوا النهاية، بل خافوا أن تُسرق البداية،
أن تُمحي ملامحهم من ذاكرة الحياة،
وأن تُكتب قصصهم بلا بقية... بلا عودة... بلا رواية.
خيبة الأمل لم تكن في الموت،
بل في الأشياء الصغيرة التي تُركت،
في أمّ لم تُودّع، وفي ضحكة على باب البيت ما اكتملت.
وفي داخل كل واحد منهم... كان طفلاً صغيراً،
يحلمُ أن يعودَ مساءً، أن يركضَ في زقاق آمن،
أن يعيشَ حياة... لا تُقطع بحبلٍ قصير.
لكنّ الحبل سبق الحلم،
وسبق العمر، وسبق تلك البراءة التي لم تُذنب...
إلا أنّها وُلدت في وطنٍ يُقاومُ القهر.
وهكذا...
لم يكن الإعدامُ نهايةَ رجال، بل خيبة أملٍ مُعلّقة،
بين وطنٍ لم يخذلهم...
وزمنٍ فعل.

بقلم:
• زروقي عمارية •
• الجزائر •

إلى القارئ...

الذي ما زال يؤمن أن للحرية صوتًا لا يُخفق
 ليسوا مجرد أسماء تُتلى في نشرات الأخبار، ولا أرقامًا تُضاف إلى قوائم طويلة من الغياب.
 إنهم حكايات حيّة، نبضات مؤجلة، وأحلام مؤجلة لم تمت. أسرى الحرية هم أولئك الذين
 اختاروا الطريق الأصعب، حين كان الصمت أكثر أمانًا، وحين كان الانحناء أسهل من الوقوف.
 ربما لم ترَ وجوههم، لكنك بالتأكيد شعرت بظلمهم في كل لحظة كرامة، في كل كلمة حق، في
 كل خطوة ترفض التراجع. هم الذين أثبتوا أن القيود قد تُثقل الجسد، لكنها تعجز عن تقييد
 الروح. وأن الجدران، مهما ارتفعت، لا تستطيع حجب فكرة وُلدت لتكون نورًا.
 ليست الحرية هبة تُمنح، بل قرار يُصنع. وهؤلاء الأسرى لم ينتظروا أن تُفتح لهم الأبواب، بل
 طرّقوها بإيمانهم، بإصرارهم، وبصبر يشبه المعجزات. علمونا أن العزيمة ليست صلابة بلا
 ألم، بل القدرة على الاستمرار رغم الألم. وأن القوة ليست في غياب الضعف، بل في تجاوزه.
 فاسأل نفسك: ماذا لو كان لكل واحد منا نصيبٌ من شجاعتهم؟ ماذا لو حملنا في أيامنا العادية
 روح المبادرة التي يحملونها في عتمة الزنازين؟ عندها فقط، لن تكون الحرية حلمًا بعيدًا، بل
 واقعًا يُبنى خطوة بخطوة.
 لا تجعل قصصهم تمر كأبي خبر عابر. اجعلها بداية. بداية وعي، بداية موقف، بداية فعل. لأن
 الحرية لا تحتاج فقط إلى من يدافع عنها، بل إلى من يؤمن بها بما يكفي ليعيشها.
 هم هناك لكن أثرهم هنا، فينا، وبيننا.
 فلا تخذل هذا الأثر...

بقلم:
 • جابي صليحة •
 • الجزائر •

الفصل الثالث

صمود

صمود وتحدي

فلسطين يا سيدة الصمود والتحدي، يا من لبست كل الأدوار للمواجهة ودروع المقاومة، يا بيت القدس، يا صلاة الظهر، يا مجمع ومدفن المحاربين في المعقل، سلمت من صمودك الأقدم... أنت من قدمت البسالة والصمود ليعيش جسد العرب بخير، وألا يصيبه طعن. كنت كأنثى جميلة حولها ضباغ اللعاب والطمع، تشققت تربك وسالت دماؤك، ولم يلفظ أحد صوت الهمة والنجد... أنت معقل ومصنع كل بطل، يا ملامح التحدي، يا قوة الظهور في ساحات العقول كعين شمس في الجسد، لاحظ الجميع الطعن لك في الظهر، ولم يهتف بكلمة واحدة، ولو بفعل بسيط على الأقل...

كنت بالروح بدرًا، يتكوّم حوله أطنان اللون الأسود، يومًا يتكومون حولك بجشع ليمسحوا نورك من سطح السماء، وتعودين بدرًا يقهرهم نورك الفضي وشعاعك المطعون بخنجر السم الملوّن... كل العالم كان معك، جوزائي لم يكن يومًا متوازنًا، ومنتصفًا لشهر أو أكثر... فلسطين وابنتها الجميلة غزة، فالشجرة الشامخة بالعلو خلفت وردة... لا عليك يا حلوتي، يا صوت الحزن الشجي، يا ربًا يتأرجح من شدة ما عانى وتحمل... إذا كان عذابك ماديًا، فروح فلسطين عند الله طهر لا يُدنّس.

يومًا ما، كل هذه الآفات والجراثيم ستزول، وسيكتب الحاضر للأطفال الذين يولدون حاضراً جميلاً لا يقربه شيطان، لا متكلم ولا أخرس... سيعلو صوتك بألحان الأهازيج واللحن والطرب، وستعود تلك النسخة الأصيلة للتاريخ، عن صمودها تتحدث.

أنت روح بلاد الشام التي تعاني الآن، ولا يدركون الوجد كي يلمسوه... لا يدرون أن الروح إذا تألمت مرض الجسد، وجفّ وقحط، وأصابته القلة والجفاف والاضطراب في الطقس... همسك الهادئ الذي صرخت فيه، ولم يرد له صدى، عاد إليهم كبوق يصرخ، ويدخل العقول بتأنيب الضمير والنهش...

إليك سلامي الحي، يا قطعة من القلب، أنا سوريا الشريك لك بالوجد، عانينا الخيانة من قلب الجسد الذي لقلبنا يحمل، وجرعونا التفرّق والألم، سنين عجاف طالت مدتها... تهمسين لهم بالصوت العالي: أريد النجدة يا عرب، أنا جائعة، أنا تائهة، أنا قحط... ويتجه أنينك للسماء، فلا أحد من الأرض يرد...

ما حدث كان درسًا يعلمهم ألا يتركوا بعضهم بعضًا... الله بلحظة واحدة قادر أن يعصف بهم ويجلب لهم الهلك، ولكن ما يحدث درس يجب أن يفهموه بالفعل واللفظ، أن العدو إذا ترك حراً واعتدى على القلب وأثار له الوجد، سيتجرأ ويضع له خنجر السم على غفلة، وفعلاً هذا ما حدث... العالم العربي فوضى مضطرب، هذا نتيجة تركك تعيشين القهر يا بيت القدس... أنت منهاج الجهاد والتاريخ والجغرافيا بالصمود، يا بلد التفاح والليمون، أنت رسالة الكون.

يجب إنقاذك ليعود السلام للأرض ويختفي السواد الحالك والخيانة من القلوب. أنت الرسالة الأولى التي هبطت للزمن لتخبرهم أن الغلط في التجاهل، وإذا استمر هذا التجاهل سيكون في القادم كوارث. دعوة صادقة من سوريا القلب إلى الروح: لا تقلقي، بعد كثرة الظلم ستعودين مشرقة بنهج جديد، وتحدثين بصوتك الشجي عن قصص التحمل والطعن.

فالخريف الطويل عليك يوماً ما سيرحل، وسيصيب القوس عين الظلم، وستنطوي صفحة الحرب، وتنطوي السطور والحبر بيوم وليلة، هي هدية الله بعد تحمّل الظلم الدامس الذي حطّ بأنيته على القلب، وتلبّس الروح كشيخ كافر مارس عليك السحر. ستتطهر روحك والجسد من هذا، ما دام هناك بحرًا مالحًا وقمرًا يكشف أدقّ الخطى التي تحدث على الأرض. سوريا العروبة... فلسطين الحبيبة، نتاج روح أنهكت قواها بسبب تركها عندما همست فلم يسمع أحد، صرخت فطغى الجشع لها حتى تحطّم...

بقلم:

رابعة مصطفى خالد

• سوريا •

الأرض أرضي أنا

الأرض أرضي والديار ديارى
 مهما تمادى الغادرون بظلمهم لن ينحن جيبني.. وهذا قراري
 نادي يا أقصى.. لعل الصوت يُحييهم بكت الأرض من صمت يُواريهم
 مرت سنون.. والدم في العروق جمد والخوف صار ظلاً يماشيهم
 تركوا الطهارة ليد الغدر تدنسها يا ويحكم.. ضاعت ملامح معاليكم
 تنتظرون نصراً وصلاًح دين يعود؟ والقدس تصرخ.. من بالحق يفديهم؟
 مسرى الرسول بأيدي الغدر مُرتهن يا رب عجل بنصر منك يشفيهم

مات العرب..

يوم استكانت نخوة الفرسان في دمهم يوم اشترتهم دنيا الزيف.. فباعوا كرامتهم
 لهثوا وراء المال.. والنفوس قد هزلت والغريب يلهو بعهود.. تمزق وحدتهم
 ملأوا البطون.. والضمير في سبات كأن كؤوس الوهم.. قد أسكرت عزيمتهم

مات العرب..

يوم استبدلوا الميادين بالملاعب والرقص وباعوا الأرض والعرض.. بصورة ومجلس ونقص
 نسيوا قضيتهم.. ومن كان صاحب الهدف؟ والأرض تضيع شراً.. في صفقة بلا حرص
 مات العرب..

نادى الأقصى.. فكان الرد صمتاً مريراً شغلته المحافل.. والعدو كان مكبراً
 يا أقصى لا تبك.. فالرجال قد ذبلوا في لقمة العيش.. ذلاً وقهراً كبيراً

مات العرب..

موتٌ بطيء.. حتى أيقظنا الكابوس عنوةً بالقوة والنفوذ.. سلبوا الحق جهاراً وقسوة

بقلم:

• عبد المنعم مرعي •

• مصر •

خبران لن يموتان

الجزء الأول: الصحفية التي لم تكمل جملتها

صباح أحد أيام الربيع، كانت تقف على حافة الموت كعادتها. لا تخاف منه، بل تخاف أن يسبقها إلى من تريد أن توصل صوتهم.

ترتدي سترة زرقاء تحمل علامة "صحافة". خوذتها على رأسها كتاج ملكة حزينة. في يدها ميكروفون، وفي عينيها حقيقة يعرفها الجميع لكنهم يتظاهرون بأنهم لا يرونها.

كانت تنقل الخبر من مكان لا يشبه أي مكان على وجه الأرض. مكان تختلط فيه رائحة الزعتر برائحة البارود، وصوت الأذان بصوت الرصاص.

"هنا من مخيم جنين، حيث تقاوم الأرض من يريد أن يمحوها..."

لم تكمل.

الرصاص التي أتت من بعيد كانت تعرف طريقها جيداً. لم تخطئ. دخلت من تحت الخوذة، كأنها كانت تبحث عنها منذ سنوات.

سقطت على الأرض، والكاميرا ما زالت تصور. سمع العالم صوتها الأخير: شهقة خفيفة، ثم سقوط، ثم صمت طويل جداً.

رفعها زملاؤها بعد ساعات. وجدوا في جيبها هاتفاً مكسوراً، وآخر رسالة أرسلتها قبل دقائق من ذلك الصباح: "سأكتب عن طفل قتل البارحة. لا أعرف لماذا اختار قلبي هذا الاسم، لكنني سأروي قصته."

لم تكن تعرف أنها لن تكتب الخبر، بل ستصبح هي الخبر.

كان عمرها يومها 51 عاماً. كانت تحمل الجنسية الأمريكية والفلسطينية، لكن وطنها الحقيقي كان الكلمة الصادقة.

ودُفنت بسرعة، لأن الجنازة قصفتها الاحتلال أيضاً.

الجزء الثاني: الصحفي الذي احترق خبره قبل جسده

محمد وشاح لم يكن يخطط ليصبح صحفياً. درس "التحليل الطبية"، وكان يمكن أن يكون في معمل هادئ، بعيداً عن الرصاص والغبار. لكنه اختار أن يكون في قلب الموت، حاملاً كاميرا بدل المجهر...

في الأربعين من عمره، كان قد أمضى عقدين في الميدان، يتنقل بين القصف كأنه يمارس طقوساً يومية. غطى حروباً لا تعد، ورأى أشلاء لا تحصى، وكان يحلم بيوم لا يحتاج فيه إلى تصوير جثة جديدة.

عشية استشهاده، جلس محمد مع زملائه في خيمة قناة الجزيرة قرب مستشفى الشفاء. تبادلوا الضحكات والذكريات، وسرقوا لحظات من الفرح من قلب غزة الكئيب. وعندما حان وقت المغادرة، ودعهم واحداً تلو الآخر، كمن يشعر أن هذا اللقاء قد يكون الأخير...

كان في سيارته البيضاء التي يثق بها، متجهاً لتغطية خبر إنساني عن موزعين للمساعدات غرب مدينة غزة. كان يحمل ميكروفونه، وكاميرته، وحلم عاديّ بأن يعود إلى منزله في مخيم البريج ليلاً.

في شارع الرشيد الساحلي، أطلقت طائرة استطلاع إسرائيلية صاروخها الأول. أصابت السيارة بشكل مباشر، فاشتعلت فيها النار وتحولت إلى كتلة من الحديد المحترق.

لكنهم لم يكتفوا.

عندما هرعت سيارات الإسعاف والدفاع المدني، وعندما تجمع الناس حول الحطام لإنقاذ من يمكن إنقاذه، جاء الصاروخ الثاني. استهدف الجميع. تحول مكان الحادث إلى مجزرة صغيرة، وأصيب العشرات ممن جاءوا لمساعدة زميلهم

رفع زملاؤه جثمانه بعد ساعات. لم يتبق منه سوى أشلاء. في جيبه، عثروا على هاتف محترق، وشريط تسجيل لآخر تقرير له، لم ينته منه بعد. يقول فيه: "هنا محمد وشاح...".

وبقي التقرير ناقصاً، والكاميرا محترقة، والجسد شاهداً على أن أخطر ما في الميدان ليس الرصاص، بل أن تكون وحدك من يروي ما يراه.

الخبر الذي لا يموت

بين الرصاص التي أوقعت الصحفية في جنين، والصاروخ الذي محى الصحفي في غزة، أربع سنوات. لكنهما التقيا في شيء واحد: كلاهما كان يكتب الخبر، فصار الخبر. كلاهما حمل كاميرا، فصار الكاميرا لا تحتاج إليهما بعد الآن، لأنهما صارا الصورة التي لا تُمحى.

كلاهما قال: "لن أتوقف."

فلم يتوقفا. فقط تحولا من أسماء في قوائم الشهداء، إلى أسماء في ذاكرة لا تسيخ.

بعد قليل

في السماء، حيث لا حرب ولا قصف ولا خوذات زرقاء، التقيا.

سألها: "هل تعرفين من أنا؟"

ابتسمت الصحفية: "لا يا صغيري، لكنني أعرف أنك كنت تحمل كاميرا مثلي. كما أعرف أن دراستك للتحاليل الطبية لم تنفعك، لأنك حللت جراحنا كل يوم بدلاً من عينات الدماء."

ضحك: "أتدري؟ أنا أعرفك أيضاً. كنت تقفين في الميدان ولا تخافين. أختي الصغيرة كانت تحلم أن تصبح مثلك."

وضعت يدها على رأسه: "وأنت؟ الآن أتخاف؟"

نظر إلى الأرض التي تركها تحترق: "لا. لكنني أشعر بالحزن على زملائي الذين أصيبوا وهم يحاولون إنقاذي. لم يتركوا الكاميرا لأجلي."

فقالت: "لا تحزن. هم الآن يكملون رسالتنا. ألسنا نحن الخبر الذي لا يموت؟"

فهم محمد، وابتسم للمرة الأولى منذ أن سقط. وقال: "إذاً، لم نضع يا شرين."

فقالت: "لا لم نضع. نحن الآن الخبر الذي لا يموت."

ملحق: الخبر الصامت

الصحفية التي سقطت في جنين عام 2022، والتي حملت الجنسية الأمريكية والفلسطينية، والتي دفنت بسرعة لأن جنازتها قُصفت.

والصحفي الذي احترق في غزة قبل أيام، في الأربعين من عمره، الذي قضى عشرين عاماً ينقل الحقيقة، والذي استهدفته الطائرات مرتين، ليصبح هو وشاحاً يضيء في سماء الحرية.

أسماءهما موجودة في كل مكان، وفي كل قلب، وفي كل خبر لم يمت بعد.

بقلم:
علاء الأورتولان
مصر

دموع أسير

استيقظت المرأة من نومها، كعادتها كل يوم، على صوت أذان الفجر. توجهت إلى غرفة ابنها محمد لتوقظه ليؤدي صلاة الفجر جماعة في المسجد. كانت المرأة فلسطينية تعيش في فلسطين مع ابنها محمد، بعد أن استشهد زوجها—والد محمد—وهو لا يزال طفلاً صغيراً. فقد قتلت القوات الإسرائيلية الأستاذ منصور، مُدرّس التاريخ، الذي كان يحمل على عاتقه مسؤولية الحفاظ على تاريخ فلسطين، وذلك أثناء ذهابه إلى عمله صباحاً. وترك خلفه زوجته وابنه محمد. بعد وفاة الأستاذ منصور، تكفلت تلك المرأة بتربية ابنها محمد. سهرت الليالي، واجتهدت في تعليمه، وغرست فيه القيم والمبادئ وروح الوطنية، حتى صار شاباً طموحاً، وبلغ مرحلة التعليم الجامعي.

التحق محمد منصور بالجامعة في فلسطين، ودرس تخصص التاريخ والجغرافيا. وعاش بعيداً عن والدته التي كانت تسكن في غزة، بينما كان يقيم في المدينة بالقرب من كليته. كان على محمد أن يوازن بين الدراسة والعمل، ليؤمن تكاليف السكن والتعليم، وكان يرسل لوالدته ما يدخره من عمله ليساعدها على المعيشة. وكانت تدرس معه ليلي، وهي فتاة إسرائيلية، جميلة المظهر، كما كان يدرس معهم ميخا، شاب إسرائيلي لا يعرف طريقاً للمبادئ، يحمل كراهية شديدة للفلسطينيين والعرب، ويتحدث عنهم بطريقة مشوهة تفتقر إلى الإنسانية. ذات صباح، كان محمد جالساً في الكلية، يحاول مراجعة دروسه قبل أن يتوجه إلى عمله. جاءت ليلي، ونظرت إليه نظرة إعجاب، لكنه كان منشغلاً بمذاكرته.

ليلي: صباح الخير يا محمد.

محمد: رفع رأسه وقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ليلي: أنا اسمي ليلي، زميلة لك في الكلية، ماذا تفعل؟

محمد: أراجع آخر درس في التاريخ.

ليلي: تاريخ العرب تأريخ مشرف.

محمد: أنت إسرائيلية يهودية؟

ليلي: نعم، لكنني أدرس تاريخ العرب.

محمد: تقصدين تاريخ دولة فلسطين؟

ليلى: نعم.

ميخا: ليست هناك دولة اسمها فلسطين يا هذا!

محمد: بل أنت في دولة فلسطين.

ميخا: أنا في دولة إسرائيل.

محمد: وكيف تقتحم حديثنا؟

ميخا: أقترح حديثكم؟! من أنت أصلاً؟ كيف تدرس معنا في الجامعة وأنت فلسطيني؟

محمد: أنا فلسطيني، وصاحب هذه الأرض، أما أنت وأهلك فأنتم من سرقها.

ميخا: ماذا تقول يا حيوان؟!

ليلى: اصمت يا ميخا، أو اترك الحوار.

ميخا: بل أنا من سيتركه!

محمد: كلما تحدثتُ معك، أشك أنك عربية ولست إسرائيلية يهودية.

ليلى: نحن ندرس تاريخ العرب.

محمد: هذا ميخا لا يحب العرب.

ليلى: لا تشغل بالك.

ذهب ميخا إلى أصدقائه، وقص عليهم ما حدث بينه وبين "هذا العربي"، كما وصفه.

قال أحد أصدقائه: ليلى تحبه.

ميخا: كيف تقول ذلك عن فتاة إسرائيلية يهودية متدينة؟!

صديق آخر: نعم، هي تحبه. (ونظر إلى صديقه نظرة خفية، كأنه يريد إشعال الفتنة بين

محمد وميخا).

ميخا: كيف ذلك؟! ليلى تحب هذا العربي؟!

صديق ثالث: إنها مصيبة كبيرة!

ثم حان موعد محاضرة الدكتور فدخاي، فذهب محمد وليلى وميخا وبقيّة الطلبة، ودخلوا

قاعة المحاضرات. دخل الدكتور وبدأ يلقي محاضرتَه، وكانت عن التاريخ الديني

لإسرائيل.

تحدّث عن إسرائيل القديمة، مدّعياً أنها أقدم من كل الدول العربية، وأنهم أصحاب

الحضارات، بل ومن صنعوا الحضارة الفرعونية، وأن دولة إسرائيل هي صاحبة الأرض

والوطن.

لم ينتظر محمد طويلاً، فرفع يده طالباً التدخل، فأذن له الدكتور بالكلام.

محمد: دولة فلسطين هي صاحبة الأرض والوطن، والحضارات القديمة حضارات عريقة

في هذه المنطقة، ومصر الفرعونية صاحبة حضارة عظيمة، ولم تكن هناك دولة

إسرائيلية يهودية قديمة بالشكل الذي تذكره. بل إن مصر ذُكرت في مختلف الحضارات

والديانات باعتبارها منبعاً للحضارة والتاريخ.

الدكتور فدخاي: أنت قليل الذوق، كيف تتحدّث عن حضارة إسرائيل بهذا الشكل الرخيص؟
محمد: أنا في محاضرة تاريخ، ولم أتحدّث عن أشياء غير معلومة، بل أنت يا دكتور من يتحدّث عن حضارة غير موجودة.

الدكتور فدخاي: أنت لا تستحق أن تكون هنا، اخرج حالاً من المحاضرة!

خرج محمد وهو يقول بأعلى صوته: "التاريخ موجود ولا يُصنَع."

وخرجت ليلي معه أمام أعين ميخا، الذي وقف ينظر إلى محمد بكل الكراهية والبغضاء.
لاحظ الدكتور فدخاي كل ما حدث، ولاحظ وقوف ميخا ونظرته نحو ليلي ومحمد. وبعد انتهاء المحاضرة، أرسل في طلب ميخا ليتحدّث معه.

ميخا: دخل على الدكتور فدخاي وقال: "أنا أعرف لماذا طلبتني."

الدكتور فدخاي: حقاً؟ تعرف لماذا طلبت الحديث معك؟

ميخا: نعم، تريد أن تعرف لماذا أكره محمد.

الدكتور فدخاي: أنت ذكي.

ميخا: أنا أكره كل أبناء هاجر المصرية.

الدكتور فدخاي: لكنهم أيضاً أبناء إبراهيم.

ميخا: لكننا نحن أبناء الله وشعبه المختار، أمّا هم فإعداء الله، ومن يقتل عربياً يكون له حقّ مصاحبة

موسى إلى السماء!

الدكتور فدخاي: لديّ خطة للتخلّص من محمد.

ميخا: ألحقني بها.

الدكتور فدخاي: علينا أن نصنع حدثاً كبيراً يشغل العالم، يكون مُدبراً، ونُلصقه بمحمد، أو نُثبت أنه

من فعله، ثم نقدّمه للتحقيق، ويُعدم بعد أن يُدين العالم هذا العمل الخطير.

ميخا: أنت داهية يا دكتور، ولديك أفكار عظيمة.

عندما خرج محمد ومعه ليلي، ذهبا إلى مكان هادئ ليتحدّثا.

ليلى: أمسكت بيد محمد، ونظرت إلى عينيه، وكانت الدموع تنساب منهما حزناً على وطنه، وعلى

حضارة بلده المسروقة.

محمد: كيف ومتى يا بلادي؟

ليلى: على رسلك يا محمد، فأنت من بلاد لها حضارة قديمة، وإن قال الدكتور فدخاي إن إسرائيل

شريك في حضارتكم.

محمد: هو لم يقل ذلك، بل قال إن مصر سرقت حضارة اليهود! كيف ذلك، ويوسف ذهب إلى مصر

عبداً، فبيع لعزيزها؟ وموسى نشأ في مصر... فكيف يُنكر كل هذا؟

ليلي: كلامك صحيح، لكن هنا في إسرائيل بعض المتطرفين الذين يُثيرون الفتن بيننا وبين العرب.

محمد: أنا خائفٌ عليك من المتطرفين اليهود الذين لا يعرفون غير الكراهية والبغضاء، أخشى أن يفعلوا بك شيئاً فأعيش حزيناً عليك.

ليلي: احتضنتُ محمد، ونظرت إليه قائلةً: "أتحبني يا محمد؟" وقبل أن يجيب، أردفت: "وأنا أيضاً أحبك."

محمد: احمرّ وجهه خجلاً، وهزّ رأسه دون أن يتكلم.

ليلي: ضحكت حين رأت وجهه يشعّ احمراراً، ومضياً بعيداً يعيشان لحظات من السعادة. ثم جاء الدكتور فدخاي ومعه ميخا إلى مسؤولٍ مخبراتي إسرائيلي، وتحدثاً معه، وذكر له خطورة محمد على الأمن الإسرائيلي، وعلى ما يسمونه تاريخ إسرائيل وحضارتها، وأن محمد يدرس التاريخ الإسرائيلي ليُشكك في تلك الرواية عبر السنين.

وقف المسؤول الإسرائيلي، ونظر إلى خريطة "إسرائيل الكبرى" الممتدة من الفرات إلى النيل، ثم أوماً برأسه نحو الحاضرين، ونادى بأعلى صوته السكرتارية، قائلاً: "حضري لي اجتماعاً فوراً."

جلس المسؤول مع أفراد مكتبه لوضع خطة شيطانية تضمن لهم تعاطف العالم. وبعد أن اكتملت الخطة، جاء وقت تنفيذها.

أحضروا حافلةً كبيرةً، وملؤوها بأطفالٍ في سنّ الطفولة. وجمعوا جثامين الأطفال الذين قُتلوا في تفجيراتٍ إسرائيليةٍ سابقة في قطاع غزة، ووضعوها داخل الحافلة، ثم زرعوا المتفجرات فيها وفجروها.

وصوّروا التفجير، وبثّوه إلى وسائل الأنباء العالمية، وأضافوا إليه روايات مليئةً بالبكاء والعيويل، مدّعين أن شاباً فلسطينياً يدرس في الجامعة هو من نفذ العملية، وأن الحافلة كانت تقلّ أطفالاً إلى الحضانة. واستدعوا نساءً يبكين بحرقه على أطفالهن، بينما كانت وكالات الأنباء تنقل المشهد.

ثم ظهر المسؤول الإسرائيلي، واتّهم محمد منصور—وهو شابٌ فلسطيني يدرس التاريخ والجغرافيا—بأنه المنفذ، مدّعيًا أنهم ألقوا القبض عليه قبل أن يهرب عبر الحدود المصرية، وبالتنسيق مع "جماعة حماس"، حسب زعمه. ووُضعت صور محمد على شاشات التلفاز في بثٍّ مباشر.

وفي تلك اللحظة، كان محمد مع ليلي يعيشان وقتاً سعيداً ومشاعر فياضة، وفجأة تمّ القبض عليه، واقتيد إلى قسم الشرطة، ثم قُدّم إلى محاكمة جنائية عاجلة، أصدرت حكمها بإعدامه شنقاً ليكون عبرةً لغيره.

وجرت المحاكمة بسرعة لافتة، رغبةً في استدراج إدانة العالم لهذا العمل الإجرامي الفظيع، متسائلين: كيف يُمكن لإنسان أن يفعل ذلك بحافلةٍ تنقل أطفالاً صغاراً إلى الحضانة؟

وجاءت وكالة الأنباء الإسرائيلية تبثُّ أكاذيبَ مُلقَّقةً عن محمد منصور.
 قالت المذيعة، وهي تبكي وتُشاهد انفجار الحافلة: إن هذا العمل الإجرامي — تفجير
 حافلة تقلُّ أطفالاً صغاراً متوجهين إلى الحضانة — جريمةٌ شنيعة. وكانت تأخذ
 مداخلات من مختلف أنحاء العالم، يَبكون هذا الفعل القذر، على حدِّ تعبيرهم.
 لكنهم لم يتذكروا أنهم قتلوا الأطفال في العالم العربي، وآخرها ما حدث في غزّة.
 وجاء وقت تنفيذ الإعدام، فوقف محمد على خشبة الإعدام، وكانت ليلي تنظر إليه
 منهارةً، وتقول: "ليس هو من كان معي!" لكن لم يُصغ إليها أحد. ونُفذ الحكم.
 نظرت ليلي إلى وجه محمد، فكانت عيناه تذرِفان الدموع. عندها صرخت بأعلى
 صوتها:
 "دموعُ أسير!"

بقلم:
صفوت شاهين
 • مصر •

ما بين القيد... والوطن

ليس كلُّ صمت نسيان...
 أحياناً الصمتُ هو آخر ما تبقى من كرامةٍ لا تُقال..
 في فلسطين...
 الأشياء لا تُقاس كما نعرفها، الوقت ليس وقتاً،
 والحياة ليست حياةً كاملة،
 والحرية... ليست كلمةً عابرة.
 هناك... كلُّ شيءٍ له ثمن،
 حتى النفس الذي يخرج من صدر مُتعب، يمرُّ عبر ذاكرةٍ مليئةٍ بالفقد.
 وفي الزنازين... لا يُسأل الأسير عن يومه،
 لأن الأيام هناك نسخةٌ واحدة... تتكرر بصمت.
 جدارٌ يعرف اسمه، بابٌ يحفظ صوته،
 وقيدٌ تعود على معصمه
 أكثر مما تعود هو على النوم. هم لا يحلمون كثيراً...
 ليس لأنهم لا يريدون،
 بل لأن الحلم حين يضيق، يُصبح وجعاً إضافياً.
 تعلموا أن الحرية... ليست فقط أن تخرج،
 بل أن تبقى روحك حيّة رغم كل محاولات الكسر..
 وفلسطين...
 ليست أرضاً فقط، هي ذاكرةٌ تمشي على قدمين،
 هي أمٌّ تنتظر،
 وشارعٌ يعرف أسماء الذين رحلوا ولم يعودوا. نحن هنا...
 نرى الحكاية من بعيد، نختصرها في خبر،
 أو دعاءٍ سريع، ثم نكمل يومنا..
 وهم هناك...
 يعيشونها تفصيلاً،
 كل دقيقة،
 كل نبضة،
 كل انتظار..

الغريب...
 أنهم ثابتون أكثر منا،
 رغم القيد،
 ورغم كل شيء...
 كأنهم فهموا ما لم نفهمه نحن:
 أن الحرية... ليست أن تمشي،
 بل أن لا تنكسر.
 وأن الوطن...
 ليس مكاناً فقط،
 بل الشيء الذي تعيش له...
 حتى وأنت خلف الجدران.
 هم لا يطلبون الكثير...
 فقط أن تبقى الحكاية حيّة،
 وألا يتحول الأسير إلى رقم،
 ولا فلسطين إلى عادة.
 لأن أقسى ما قد يحدث...
 ليس أن يُؤسر الإنسان،
 بل أن يُنسى.
 وهناك...
 ما زالوا يؤمنون
 أن باباً ما سيفتح،
 وأن فجرًا ما سيأتي.
 وفي النهاية...
 نحن نكتب... وهم يعيشون.
 نحنُ الباب... وهمُ المحتوى.
 وكلما امتدَّ القلم،
 ضاق صدرنا...
 لأن الحقيقة أكبر من كل ما يُكتب في النصوص ويُقال...

بقلم:
 حسين صالح
 •الجزائر•

الفصل الرابع

شهادة

رسالة أسير

حيطان من طين ورمل حنت على حالي
 سجنني يا أمي مرجلة وعمري ما كنت جاني
 حب الوطن يا أمي دين ، والدين ثمين وغالي
 عمره ما هان الوطن والسجن ل للرجال
 سجانني قاسي وعنيد ، حديده صلب وعتيد
 وأنا يا أمي الإيد مكبله وبتعاني
 حيطان من طين ورمل نستني الوجوع حتى ف ليالي البرد دفت أنا ضلوعي
 لا تخافي يا كل الوطن يا امي ع ابنك سجنني أنا دافي
 حيطانه من طين ورمل من تربة بلادي
 تراب الوطن حنون ، ما بنسى يما ولاده
 لو شكلوه بألف لون ، يبقى أصيل وحنون
 سجانني ثعلب ضعيف متحامي بسلاحه
 وأنا يما سلاحي قلب ، حب الوطن دينه
 في ليلي ونيسي ربي ، وسجادة صلاتي
 وفي نهاري يما صوت الدعا سامع من قلبك الصافي
 كيف الدار يا زينة الدار
 وكيف الكبار والصغار
 كيف الحارات والجارات
 كيف إخواتي البنات
 وكيف الوالد ..
 يارب يظل للبيت وتد ساند عطري يما ثوبي الأبيض يوم العيد
 وجهزيه
 ما حطول عليك دوم تفقديه ولا تخافي عيديتك محفوظة
 راح أعوضك عن سنين الوجع
 راح أسند هالظهر يلي انوجع
 وشد ع الإيد الحنونة الطهورة أمي لا يغرك صوت الوجع في حروفي
 حروفي أنا من فراقك مش مبسوطه
 وعد وعهد مني أنا لكحل عيونك بشوفتي وترجعي فرحانة ومبسوطه

بقلم:
 تمام يوسف
 • غزة فلسطين •

الأرض المنصورة

أنا الأرض المنكوبة، أنا في العالم محبوبه
أنا حريّة مسلوبه
أنا فلسطين ورايتي مرفوعة
أنا المدينة المحاصرة، أنا بصمودي قاهرة
سمائي أمطرت
حتى جفت سحابها
أنا غزّة الجابرة
أنا ضفة غربيّة، أنا همّتي قويّة
أنا قصة مروية، تسطرت بالعزيمة والتضحية
أنا الداخل المحتل، من المقاومة لا أمل
أقاتل لأرفع كلمة الحق والعدل
فلا أستسلم ولا أذل
أنا القدس العربيّة، بدم الشهداء مروية
يحاولون تهويدي
وستبقى معي الهوية
أنا الأسير الفلسطيني
دمي دم عربيّ، لساني حاد قويّ
يداي تبطش العدو الهمجى
تهمتي حبي الوطنيّ، انتمائي لشعبي الحرّ الأبى
عشق أرضي ذنب جليّ
أنا الأسير الفلسطيني
أنا الذي يحاول الإحتلال إعدامي، ألا يعلمون أنّهم أعدموني
حاولوا إهانتني وإذلالني
عذبوني وفرحوا في عذابي، ولكنهم لم يعلموا أنّ دمي فلسطينيّ
أنّ صمودي فلسطينيّ
لم يعلموا حقاً أنّنا شعب فلسطينيّ
أننا لا نخضع للصهيونيّ
أنا الأسير الفلسطيني
أنا مقاوم أعدائي، وحافظ أرض أجدادي

بقلم:
ربي طقاظة
• فلسطين •

حين يصبح الغياب وطنًا

ليس الليل في الزنزانة ليلاً إنه مساحةٌ واسعةٌ من المواجهة،
 حيث يقف الإنسان عارياً أمام ذاكرته،
 لا يملك سوى قلبه
 ولا يستطيع الهروب منه.
 هنا لا يُقاس الوقت بالساعات، بل بثقل الغياب.
 كل دقيقة تحمل وجهًا
 كل ثانية تنادي اسمًا، وكل صمتٍ يمتلئ بأصوات الذين تركهم خلفه دون وداعٍ كامل.
 الأسير الفلسطيني
 لا يُسجن وحده
 بل تُسجن معه أمّه في دعائها الطويل،
 وتُسجن طفولته في عيون أطفاله،
 ويُسجن البيت وهو ينتظر عودته كما يُنتظر الغائبون الذين لا يُعرف موعدهم.
 في الزنزانة،
 يتحوّل الجدار إلى شاهد صامت،
 يحفظ ارتجاف اليد حين تكتب اسمًا
 ويرى كيف تتحوّل الدموع إلى كلمات،
 وكيف يُخبّئ الرجل وجهه
 كي لا ينهار صوته إن نطق
 .كم مرةً حاول أن يبدو قويًا؟
 كم مرةً ابتلع حزنه
 كي لا يسقط من داخله شيءٌ لا يمكن ترميمه؟
 هو لا يخاف من القيد بل من لحظة ضعف عابرة
 قد تجعله يشفق أكثر مما يحتمل.
 وفي الليل حين تتعب المقاومة من الوقوف يأتي الحنين لا كذكرى، بل كاجتياح.
 يدخل عليه دفعةً واحدة:
 صوت أمّه حين كانت تناديه باسمه الأول
 ضحكةٌ سقطت منه يومًا على عتبة البيت .
 رائحة قهوةٍ لم تُكمل حديثها،

وصباحٌ كان عادياً لكنه الآن يبدو حياةً كاملة.
 هناك يبكي لا لأن البكاء ضعف، بل لأنه آخر ما تبقى من إنسانيته التي يرفض أن تموت.
 ثم يمسح دمعته سريعاً، كأنه يخشى أن يراه أحد، ليس حياةً
 بل حفاظاً على صورة رسمها لنفسه:
 أنه ما زال قادراً على الصمود.
 الأسير ليس حكاية ألم فقط
 بل هو امتحانٌ طويل للروح.
 هو الذي تعلم أن يعيش ناقصاً
 دون أن ينكسر، أن يشفق دون أن ينهار،
 أن ينتظر... دون أن يفقد إيمانه بأن الأبواب، مهما طال صمتها، ستُفتح.
 هو الذي يحمل وطنه في صدره
 كأنه يخشى أن يُسرق منه أيضاً،
 فيحفظه بالحلم، ويحميه بالصبر،
 ويُبقيه حياً
 حتى وهو خلف الجدران.
 وإن سألوك عنه فلا تقولوا أسيراً فقط
 قولوا:
 قلبٌ أجبر على الغياب
 ولم يتعلم يوماً كيف يتخلى عن الحياة.

بقلم:

زهراء عبدالناصر خويطر
• فلسطين غزة •

أبجدية الركام وحكاية الوجود المستمر

من قلب غزة، هاي البقعة الصغيرة اللي خاوت الموت وصارت بتعرفه بالاسم.. من بين الشوارع اللي انمحت ملامحها، والبيوت اللي صارت كومة تراب، بس لسا ريحة أصحابها فيها. غزة اليوم مش بس بتلملم جروحها، هي بتعيد صياغة معنى الحياة من أول وجديد. إحنا هون ما بنكتب بالحبر، إحنا بنكتب بوجعنا "أبجدية للصمود" عشان العالم يتعلم كيف الناس المنسية بتضل واقفة.

اليوم، بنواجه فصل جديد من فصول القهر، إشي بوجع أكثر من القصف ومن الجوع. بنحكي عن ظلم كسر حدود الجدران والسلك الشائك.. زمان كان السجن يعني غياب، يعني باب مسكر وبنستناه يفتح. بس اليوم، بدهم يحولوا السجن لـ "مقصلة قانونية" جائرة. هاد اللي سموه "قانون إعدام الأسرى" مش مجرد قانون انكتب على ورق بليل مظلم، هاد اعتراف رسمي وواضح بإنهم انكسروا قدام إرادة الأسير. لما السجن شاف إنه القيد والزنازة والعزل ما كسروا عين الأسير، لجأ للحبل.

يا عالم، الأسير الفلسطيني عمره ما كان مجرد "رقم" بملف مخبرات، ولا كان مجرد "جسم" ورا القضبان. الأسير هو حكاية وطن، هو الشاب اللي ترك خطيبته، والزلمة اللي كبروا ولاده وهو مش معهم، هو الطالب اللي ضاعت سنينه وهو بحلم بالحرية. كيف لمشنقة، مهما كانت قوية، إنها تنهي تاريخ انكتب بالدم والدموع؟ وكيف لقانون طالع من ناس "معدومي الإنسانية" إنه يحاكم إنسان وهب أعلى ما يملك، "حياته"، عشان كرامة شعب

ممرات الانتظار ومرآة العالم المكسورة

إحنا في غزة، بنفهم الوجود من نظر العيون. بنعرف شو يعني الروح تكون مستباحة، وشو يعني الواحد ينام وهو مش عارف إذا رح يصحى ولا لأ. بس الوجود الأكبر هو وجود أمهات الأسرى. بتعرفوا شو يعني "أم أسير"؟ هي اللي قضت سنين عمرها بتغزل من خيوط الأمل فجر للقاء قريب. هي اللي بتجهز بدلة العريس لابنها كل سنة وبتقول "هانت". اليوم، هاي الأم بتصحى على كابوس بخوف، كابوس بهدد حياة ابنها مش برصاصة طائشة، بل بقانون "رسمي".

هاد القرار بحط "المجتمع الدولي" كله قدام مراية الحقيقة. وين المواثيق اللي صدعتوا رؤوسنا فيها؟ وين "حقوق الإنسان"؟ وين اتفاقيات جنيف اللي بدرسوها بالجامعات؟ لما يصير القتل "قانون"، بصير الصمت عنه مشاركة في الجريمة. العالم اللي بتفرج علينا واحنا بنندبح، هو نفسه اللي رح يسكت وبكرة رح ينسى.

ورا هاي النصوص الباردة والكلمات القانونية المعقدة، في عائلات فلسطينية بيوتها، انفرص عليها اليوم تعيد تعريف كلمة "الفقد". صاروا يتدربوا كيف يتأقلموا مع نوع جديد من النزف. صاروا بستنوا الخبر اللي بيحي من ورا القضبان وهم ماسكين قلوبهم بأيديهم. بدل ما يحلموا باليوم اللي بيطلع فيه ابنهم وبحضنوه، صاروا يحضروا حالهم للوداع.

وهاد يا عالم مش استسلام، هاد هو "الصمود الذهني" المرعب. إنك تقعد مع عيلتك وتصير تحفظ وصايا ابنك وتفصيل ملامحه من الصور، كأنك بتبني درع ضد النسيان قبل ما يجي يوم الفراق.

في بيوتنا المكلومة.. الكرامة هي السلوى ادخلوا على بيوتنا في غزة، في المخيمات، تحت الخيام.. رح تلاقوا قصص بتشيب. أخبار "قانون الإعدام" ما بتنزل علينا بالولولة والعويل بس، بتنزل بنوع من "الذهول المقاوم". بتلاقي الأب، اللي هدت السنين حيله، واقف زي الجبل وبشد أزر ولاده. بتلاقي الزوجة، اللي بتخفي دمعها بقلبها، وبتقعد مع أطفالها وبترسوم لهم صورة "الأب البطل"، الأب اللي ما انكسر ولا طأطأ راسه للسجان.

قمة المأساة، وقمة القوة بنفس الوقت، إنك تلاقى إنسان بيتدرب كيف يتحمل رحيل أغلى الناس عليه بدم بارد، وبعدين يطلع للعالم بوجه صامد ما بيعرف الانكسار. هم بدهم ينشروا الرعب، بدهم يكسروا "الروح المعنوية". بس غاب عن بالهم إشي كثير مهم: هاد الشعب رضع الكرامة مع حليب أمهاتهم. اللي عاش حياته كلها تحت النار، ما بتخوفه مشنقة.

هم بيذكروا إن حبل المشنقة رح يخنق "الحلم الفلسطيني"، بس الحقيقة إن أرواح الشهداء هي اللي بتعطينا البنزين عشان نكمل المشوار. قلمي اليوم مش جاي يكتب رثاء، الأسرى مش محتاجين حدا يبكي عليهم. قلمي جاي يكتب إنهم هم "الأحياء" ببطولاتهم وبمواقفهم، وإن السجان هو "الميت" الحقيقي، ميت بخوفه، ميت بجبنه، وميت بضعفه قدام ابتسامة أسير.

فلسفة الانتصار من خلف الزنزانة

شوفوا الفرق الكبير.. السجان، بكل سلاحه ودباباته ودعمه، محتاج لـ "قانون" عشان يقدر يقتل بدم بارد ويحمي حاله. بينما الأسير، اللي ما معاه غير إيمانه وجسمه النحيل، محتاج بس "ابتسامة" بوجه القاضي عشان يعلن انتصاره. الأسير بطلع فيهم من ورا القزاز وهو بضحك، لأنه عارف إنه هو الحر وهم العبيد لخوفهم.

شو ما كانت الزنزانة عتمة، وشو ما اشتد الحبل حول الرقاب، صوتنا رح يضل هو الأعلى. أسماء أسرانا مش رح تتنسى، رح نضل نكتبها بدمنا على جدران غزة المحروقة. رح نحكي قصصهم لأطفالنا وهنّ نايمين في خيام النزوح، وتحت صوت الطيارات اللي ما بتفارق السما. رح نعلمهم إن "الحق الفلسطيني" ما ييموت بالتقادم، ولا بيختفي بقرار إعدام.

الفجر اللي بيطلع من قلب السجن، هاد فجر حتمي، جاي لا محالة. إحنا شعب بآمن إن الموت مش نهاية الطريق، الموت للي زينا هو "جسر للخلود". هاد القانون المهزوز مش رح يكون إلا "مسمار أخير" في نعش صورة الاحتلال اللي انفضحت قدام كل العالم..

نحن أرباب الحكاية

في النهاية، الكلمة إلنا والأرض إلنا. رح نضل نكتب، ونوثق، ونقاوم بكل وسيلة، حتى بالكلمة اللي بتطلع من قلب محروق. إحنا أصحاب الأرض وأرباب الحكاية، والدم اللي بيجري في عروقنا رافض ينحني لغير الله.

بكرة رح يحكي التاريخ عن ناس واجهوا الموت بصدور عارية وبضحكة مستفزة للسجان. وبكرة رح يعرف العالم إن المشانق عمرها ما

صنعت نصر لظالم، هي بس خلدت أسماء "الثائرين" في ذاكرة الزمان والمكان. المجد لكل أسير واقف زي الشجر، والحرية القريبة هي وعدنا وعهدنا، والخلود للشهداء اللي بضووا طريقنا بدمهم الغالي...

بقلم:
مرام أحمد السميري
• فلسطين •

ملحمة الروح الفلسطينية خلف الأسوار

منذ أن وطئت قدما أول ثائر أرض الزنزانة، لم يعد السجن في فلسطين مجرد بناء من إبادة وأسمت، بل استحال حيزاً وجودياً تدور فيه أعنف المعارك بين ذاكرة تآبى النسيان وجلاد يقتات على محو الهوية. إننا حين نتحدث عن الأسرى، لا نتحدث عن ضحايا، بل نتحدث عن صنّاع زمن مواز، زمن لا يقاس بعقارب الساعة التي تصدأ على جدران السجون، بل يقاس بمقدار الصمود الذي يبديه المرء وهو يواجه العدم في كل صباح. السجن في التجربة الفلسطينية هو المختبر الأول الذي صهرت فيه الهوية الوطنية، ف خلف تلك القضبان، ذابت الفوارق الجغرافية بين ابن القدس وابن غزة وابن الشتات، ليتوحد الجميع في خندق "الأسير" الذي يمثل اليوم الضمير الحي للشعب الذي لم يملّ المطالبة بحقه.

إن فلسفة الاعتقال لدى الاحتلال تقوم على مبدأ "العزل والتفتيت"، محاولة تحويل الإنسان إلى مجرد رقم هامد في سجلات الإدارة، لكن الأسير الفلسطيني قلب الطاولة على هذه الفلسفة؛ فحول "البرش" الحديدي إلى مقعد دراسي، وحول جدران الزنزانة الصماء إلى لوحات فنية ومنابر سياسية. إنها معجزة تحويل القيد إلى أداة للتحرر الداخلي، حيث يقرأ الأسير آلاف الكتب، ويناقش نظريات الفلسفة، ويحفظ تاريخ الثورات العالمية، ليخرج من سجنه -إن خرج- بعقل يتسع للكون كله، بينما يظل سجانوه

محبوسين في ضيق فكرهم العنصري وخوفهم الدائم من صاحب الحق. إن السجن يخاف من الأسير لأنه يدرك أن جسد الأسير المقيد يمتلك حرية أخلاقية لا يملكها هو، فالأسير ينام قرير العين لأنه يدافع عن قضية عادلة، بينما السجن يستيقظ مرعوباً من صدى صوته ومن نظرة التحدي التي يراها في عيون من يظن أنه قمعهم وفي غياهب العزل الانفرادي، حيث يغيب الضوء وتضيق الأنفاس، تتجلى أعظم صور الصمود. هناك، حيث يمنع الأسير من سماع صوت بشري أو رؤية وجه صديق، يبدأ الحوار مع الذات، وتتحول الذاكرة إلى مخزن للصور الدافئة؛ يستحضر الأسير رائحة القهوة التي كانت تعدها أمه في الصباح، وملمس تراب الأرض بعد المطر، وصوت ضحكات الأطفال في أزقة المخيم. هذه التفاصيل الصغيرة هي التي تبقى الأسير حياً، هي السلاح السري الذي لا تستطيع أجهزة التفتيش والكلاب البوليسية مصادرتة.

بقلم:
مرام أحمد السميري
فلسطين

أسرى فلسطين

في ظل الأسر، تتجمد الأيام، لكن الأمل لا يموت. أسرى فلسطين، كالأشجار، يرون الشمس من خلف القضبان، ويغذون الأرض بعطائهم. كل خطوة في سجونهم هي خطوة نحو الحرية، كل صرخة هي نداء للإنسانية.

هم لا يطلبون الرحمة، بل يطالبون بالعدل. لا يبحثون عن التعاطف، بل عن الحق. في كل كلمة يكتبونها، في كل صوت يرفعونه، هناك قصة صمود، ورفض للاستسلام.

في سجون الاحتلال، يتعلم الأسرى الصبر، ويكتشفون قوة الإرادة. يتحول الألم إلى أمل، والظلم إلى دليل على العزيمة. هم أسرى، لكنهم أحرار في أفكارهم، أحرار في أحلامهم.

فلتكن كلماتنا لهم شمعة في ظلمة السجون، ولتكن أصواتنا صدى لصرخاتهم. الحرية قادمة، والأسرى سيعودون، حاملين معهم أمل فلسطين. في كل قصة أسرى، هناك درس في الصمود، وفي كل حكاية، هناك معنى للحرية.

الأسرى ليسوا مجرد أرقام، بل هم أرواح حية، وقلوب تنبض بالحب والوطن. هم رمز للصمود، وللرفض المستمر للظلم. فلنقف معهم، ولنرفع أصواتنا معهم، حتى يتحرر أرضنا، ويعودوا إلى بيوتنا.

بقلم:
بلقار إخلص
•الجزائر•

وطني..... يا جرحاً ينزفُ المآ
 يا جرحاً في ذاكرة الزمن ... ينزفُ ويزفُ الأرض عروس الكفن
 فكيف لوطن يُصلبُ كلَّ يومٍ أن يموت ؟
 وكيف لمريض مُصاب بحبِّ الوطن المزمِن أن يُشفى ؟
 وكيف لذاكرة تنبضُ بالدم أن تُنسى؟!
 ابنة الأرض والكرامة والعزّة أشكو حالي ... فأنت هنا، في القلب وإن طال ارتحالي
 سأرسمُ فوق صمّت القيدِ فخري ونبض القلبِ يهتفُ " يا جبالي " ...
 فلسطين بغداد بيروت ... ستبقى منازل عزة رُغم المُحالي
 هناك، حيثُ أزهر الزيتون من دم الشهيد... وفضح القيد مكر الاحتلال
 ألا يا موطني صبراً فإننا سنكسر القيد، ونشعل نوراً يوقض حلقة الليالي...
 ونبني من ركامِ الأمس فجراً ... ونزرعُ في حُقول اليأس الآمال
 فلا الأقدار تثني العزمَ فينا .. ولا الأشواك تُوقف سير الأبطال ...
 سنمضي قدماً نحو حلمٍ قد رسمنا .. بعزمِ أرواح قهرت فتجلت في الأعالي
 بيروت يا أرضاً ضمّت جذور العزّ ...
 تُرابك يفوحُ عطرَ دماءٍ أنبتت حُرّيّةً، وروث قصص الصمود للأجيال ..
 فلسطين، بين حجارتك ينبتُ الأملُ وعلى أرضك تترعرعُ الأبطال ...
 أه .. يا قبلة الأرواح في المشرقين ... في بيروت وفلسطين والقدس
 في الجليل والجنوب وفي الأغوار في قانا وغزة وبيت لحم ...
 هناك يُرفرف علم الثوار ...
 هنا ستزهزأ أزقة القدس، وشوارعك يا لبنان حُرّيّة بالحجارة والدماء وفوهة البندقية ...
 طوبى لكم أصحاب النفوس والعزائم الأبية .. أطفال الحجارة، أبطال لبنان والقدس
 والجليل
 يا مَنْ وقفتُم في وجهِ مَنْ اغتصب العُروبة واستباح البقاع الشرقيّة لأجلكم نقول :
 نعمُ للسلام في الأوطان وللحرّيّة ...
 ولكن،... ترى هل قصّة السلام والعدل باتت مسرحيّة؟! مِنْ قلوب أمّهات ثكلى، وعيون
 تُوشحها الأحزان ..
 مِنْ أرض الطّهارة يا قدس و جنوبك يا لبنان ... سيعلو الحقُّ فوق كلِّ باطلٍ بإسم العزّة
 وحقوق الإنسان ...
 سينبلج فجرٌ جديد.... بيروت يا بيروت يا لؤلؤة الأديان
 في القدس وفي لبنان سيجمعُ الإنجيلُ والقرآن وينتصر الإنسان .
 لأنَّ حبَّ الأوطان دينٌ لا دين له ولا زمان .

بقلم:
 صفاء فايز عامر
 •لبنان•

جمرة غضب

طفل رضيع .. تقتلعه أظفار الوحوش من حزن أمه، و يودع في السجن لتعذب طفولته
البريئة على مرأى من والده بغية انتزاع اعتراف منه، فتنزع منه روحه مع كل صرخة
لطفله البريء الذي لم تسعفه أيامه الغضة لارتكاب أي جرم سوى أنه ولد على أرض
استباحتها وحوش ارتدت جلود البشر.

اسرى فلسطين، تتهاوى أمامهم كل البطولات، و كل الحكايات الزائفة، و كل الاحزان
الهزيلة التي نتباكى عليها .

نظروا إلى الأغلال التي تكبلنا إلى دنيانا الزائلة هازئين، و ابوا الا الانصات إلى أصوات
قلوبهم الحرة، ووضعوا أرواحهم على اكفهم رخيصة فداء لفلسطين ارض الاقصى، ارض
المسرى، ارض ارتبطت بالسماء بمعراج نور .

لم يكن الأسر بالنسبة لهم قيذا ولا جرحا، بل كان أية صمود في وجه تثار العصر، ووسام
فخر قلده لشعبهم و قبس أمل أن لا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر و لا بد
لجحافل البغي أن تنهزم .

و كأنهم شوكة في حلق الغاصبين، ووصمة عار على جبين كيان سرطاني، زرع في جسد
أمة ليقتات عليها، و دليل إدانة أخرى على جرائمه، أراد الطغاة محوها بقرار اعدامهم فإذا
هم ينكؤون جراحات أمة بأسرها، و يذكون في كل قلب غضبة لا تنطفئ، و ثارا لا يموت.
لن يمر القرار مرور الكرام . نعم، قد اثخنا جراحا لكننا اتخمتنا صمتا و خنوعا . و لم يعد
في جعبتنا، اذ ذاك، وسع لصبر جديد.

بقلم:

رند احمد صدوق صافي

• سوريا •

دوار الكويت

وفي صباح اليوم التالي حزننا الأمتعة وودعنا إخوتي والدموع لم تجف وكأن القلب يشعر بأن الرحلة طويلة قام أخي الصغير بتوصيلنا بسيارتنا لأن النزوح كان مشيا على الأقدام ومن يمتلك سيارة لا يمكنه المجازفة في الخطر أو عليه دفع مبلغا خياليا كانت الطريق مرعبة قصف متتالي لم يتوقف وعائلات بالآلاف في الشوارع تتجه للنزوح جنوبا لقد وصلنا بالسلامة لهذه النقطة وهي ماتسمى دوار الكويت وودعنا أخي والقلب يعتصر ألما وحزنا والدموع لم تجف استودعناه الله ورجع للشمال ونحن اتجهنا للجحيم كانت هذه آخر نقطة يسمح للسيارات بالمرور فيها ومن ثم عليك ركوب الكارة إذا كنت تملك المال أو مشيا على الأقدام إن كنت لاتملك المال وعدد أفراد عائلتك كبير

ركبنا الكارة وماهي إلا دقائق ووصلنا إلى المكان وإذا بصاحب الكارة يهتف بنا انظروا هناك ها هي المدرعة وحولها الجنود وها هم الناس ينتظرون بجانبهم وحين يحين دوركم لاتخافوا الأمور ستكون على مايرام

أخذنا نمشي ونتمتم بالدعاء والخوف سيد الموقف وصلنا إلى جموع جرارة وسيل كبير من الناس ينتظرون الحاجز كان مرور الناس بشكل بطيء جدا كانت الأمور في البداية تسير على مايرام ثم توافدت الأعداد وبدأت المصيبة تدافع رهيب وصراخ الأطفال يعلو ويعلو وكراسي متحركة تحمل كبار السن والمصابين والمرضى كان الوضع مزريا ومحزنا وبينما نحن في وسط هذا السيل الهادر تشرذمنا إلى مجموعات صغيرة فوجدت نفسي مع ابنتي وزوجها وأبنائي الصغار

كنا نلوح لبعضنا البعض من بعيد حتى نبقى على تواصل فالمكان أشبه بأهوال يوم القيامة نسقط تارة ونميل تارة أخرى على الأرض بسبب التدافع الشديد ثم نقوم لنواصل المسير فكان زوج ابنتي وابنتي خير معين لنا فابني الصغير كاد أن يدهس من الجموع الهادرة لولا عناية الله وسحب زوج ابنتي له أكثر من مرة وبقينا هكذا إلى أن اقتربنا أكثر من الحاجز وكان المشهد يروي عن نفسه.... يتبع

بقلم:
هناء الشبراوي
فلسطين

مأساة النزوح المتكرر

استقبلنا يومنا الجديد في منزل صديق زوجي بالحمد والرضى ودعونا الله أن يكون هذا النزوح الأخير لنا ولكن "تجري الرياح بما لا تشتهي السفن" وأن الإنسان لا يعلم الغيب كل شيء أرادته الله لحكمة بالغه نجهلها وعلينا استقبال أقدارنا بالرضى والحمد المهم ذهب زوجي وصديقه وأولاده لجلب الماء بالمنطقة تفتقر للماء بسبب قطع الاحتلال لخط المياه الرئيسي عن المدينة فاشتروا الماء وكانوا يوفرون الغذاء من مكان قريب، لقد كانت الأمور تسير على مايرام والوقت يمر بسرعة بسبب وجود عائلة صديقه الذين سعدوا بوجودنا وأنهم لم يشعروا بالحرب ونحن معهم فكانت عائلته قمة الأدب والذوق

مر اليوم الأول بسلام ثم في اليوم الثاني جاء إخوتي من الشمال كما وعدونا ولكن إلى أين؟؟ فهم لا يعرفون أحدًا في الجنوب فطبعًا كان المأوى الملعب مرة أخرى كنت أذهب للملعب لزيارتهم وأذهب لزيارة أمي وأبي في منزل أبو ياسين فكانت الأيام تمر وفي خلال هذه الأيام حصلت هدنة مؤقتة فرحنا بها فرحًا عظيمًا واستبشرنا خيرا لكن إرادة الله وحكمته فوق كل شيء فتوقعنا أن تفضي لحل فكان الناس متفائلين بانتهاء الحرب ولكنه كان فخا أسود والقادم أسوأ من السابق فمجرد خروج أسرى الاحتلال بدأ القصف متقطعا ثم مالبت أن اشتد القصف لقد قام الاحتلال بتهديد منطقة القرارة ورويدا رويدا أصبحت كل مدينة خان يونس مهددة بالكامل بدأت الأحزمة النارية على أطراف المدينة كان صوتها ليلا مرعبا يهز المكان فهي مناطق زراعية وصدى الصوت رهيب إذا أصبحت منطقتنا غير آمنة ففي أحد الأيام هدد الاحتلال شارع الملعب ليلا فاتصلت على إخوتي فوجدتهم لا يعلمون بذلك فنحن لم يغمض لنا جفن في هذه الليلة فالقذائف تنهمر بصورة جنونية فدعونا الله أن يحميهم إلى أن يصبح الصباح ونبحث لهم عن مكان آخر

في هذه الأثناء قرر صديق زوجي النزوح فكانت وجهته رفح فذهبنا في اليوم التالي مع إخوتي لإيجاد منزل لهم بالإيجار كي يحميهم من شظايا القذائف وفعلا كان هذا أفضل خبر ولكن يا فرحة ماتمت في الليل اشتد القصف وأصبح الوضع لا يطاق رعب مابعده رعب المدرعات تتقدم ولا مجال للمكوث في المكان فقررنا جميعا النزوح وأمى وأبي أيضا لقد تعبنا واستنزفت قوانا الجسدية من كثرة النزوح والتنقل لم ننم في هذه الليلة الغبراء من شدة القصف فبعد صلاة الصبح بدأنا بحزم أمتعتنا وبينما نحن نرتب المكان إذ بصاروخ ينسف المنزل القريب منا فانهاج الزجاج علينا وتكسرت الأبواب وأغلق مدخل البيت من شدة القصف يا إلهي نحن في أحد أفلام الرعب الهوليوودية استنجدت بإخوتي ومن حسن الحظ كان هناك مدخلان للبيت فساعدوني في حزم وترتيب أمتعتنا وذهبنا إلى البيت المستأجر ومنه نغادر مدينة خان يونس ولكن إلى أين الوجهة هذه المرة ياترى.....يتبع

بقلم:

هناء الشبراوي

فلسطين

مالا يكسر

يُحوّلونه إلى شاهد.
شاهد على أن الكرامة
لا تحتاج إلى فضاء،
بل إلى قرار.
كيف يمكن أن تُهزم روح
اختارت أن تكون حرة
حتى وهي مُقيّدة؟
كيف يُكسر إنسان
تعلّم أن يجعل من كل قيد
تعريفًا جديدًا للانتصار؟
إنهم لا ينتظرون الحرية...
هم يصنعونها.
في الصبر الذي لا يُرى،
في الأمل الذي لا يُعلن،
في تلك الابتسامة التي تمرّ سريعًا
كأنها تخاف أن تُتهم بالحياة.
الأمّ هناك...
لا تبكي كما يظنون،
بل تُربّي الدموع
على الصبر،
وتُعلّم القلب
كيف يُؤمن دون أن يرى.
والأب...
يُخفي انكساره
في صمت ثقيل،
كي لا يسقط الوطن
من عيني ابنه الأسير.
أما هو...

فلا يملك إلا ذاته،
 وهذا كافٍ
 ليُرعبهم.
 لأن أخطر ما في الإنسان
 ليس صوته، بل إيمانه.
 وأخطر ما في الأسير
 أنه لم ينس، أنه حر.
 أيها العالم...
 لا تسأل: متى يخرجون؟
 بل اسأل نفسك:
 كيف دخلوا؟ وكيف صمتت
 كل هذا الوقت؟
 لا تقل: إنهم خلف القضبان،
 بل قل:
 نحن... خارج إنسانيتنا.
 فالحقيقة التي لا تُقال،
 تتحوّل إلى قيدٍ آخر،
 والصمت...
 شكّل آخر من أشكال السجن.
 هؤلاء الذين ينامون على وجع يومي،
 لا يبحثون عن شفقة،
 بل يكتبون — بثبات مرعب —
 أن الحرية لا تُمنح...
 بل تُنتزع من قلب العدم.
 وفي النهاية...
 لن يُهزموا.
 لأن الهزيمة الحقيقية ليست أن تُقيد اليد،
 بل أن تستسلم الروح.
 وهم... لم يفعلوا...

بقلم:
 دعاء الجمل
 • تونس •

حين تتنفس الأوطان الحرية

حرية الأوطان ليست كلمة تُقال على المنابر، ولا راية تُرفع في ساحات الاحتفال، ولا سطرًا يُدوّن في كتب التاريخ ثم يُطوى، بل هي الروح التي إذا سرت في جسد الأمة دبّت فيها الحياة، ونهضت من عثارها، واستعادت ملامحها التي شوّها القهر وأرهقها الاستبداد. هي النور الذي إذا بزغ، انكشفت وجوه الحقيقة، وتراجعت عتمة الخوف، وعاد الإنسان يشعر أن له مكانًا تحت شمس بلاده.

الوطن الذي تُصادر حرّيته، لا يُسلب أرضه وحدها، بل تُسلب أيامه، وتُنهب أحلام شبابه، وتُطفأ في صدور أبنائه جذوة الطموح. يصبح الناس فيه غرباء وهم في ديارهم، صامتين وهم قادرين على الكلام، منكسرين وهم أهل العزة. فالقيود لا تكون دائمًا من حديد، بل قد تكون خوفًا يطوق الأعناق، أو ظلمًا يثقل الصدور، أو جهلاً يُراد له أن يكون سيد الميدان.

وإذا أشرقت الحرية على وطن أنهكته السنون، تبدّل وجه الحياة فيه. تستقيم النفوس بعد اعوجاج، وتنهض العقول من سباتها، وتعود الكلمة الحرة لتشق طريقها بين الأفواه. عندها يكتشف الإنسان أن الكرامة ليست حلمًا بعيدًا، وأن الوطن ليس جدارًا وحدودًا، بل قيمة كبرى يعيشها المواطن في أمنه وعدله وحقه في أن يكون شريكًا في بناء مستقبله.

حرية الأوطان لا تُمنح منةً من مستبد، ولا تُهدى عطيةً من طامع، ولا تُشتري بأثمان المساومات، بل تُنتزع بإرادة الرجال والنساء الذين آمنوا أن الحياة بلا كرامة موتٌ مؤجل، وأن الصمت على الذل خيانة للأجيال القادمة. هي ثمرة صبر طويل، وتضحيات جسام، ووعي لا ينام أمام حيل الطغيان. وما أكثر الأوطان التي تحررت حدودها، وبقيت عقول أبنائها أسيرة الخرافة، أو رهينة الفساد، أو سجين الخوف. فالحرية الحقيقية لا تقف عند بوابات المدن، بل تدخل المدارس والجامعات، وتستقر في المحاكم، وتسكن ضمائر المسؤولين، وتظهر في قدرة المواطن على قول رأيه دون وجل، وفي حقه أن يحاسب من أخطأ، وأن يطمئن إلى أن العدالة لا تفرّق بين قوي وضعيف.

الوطن الحرّ هو الذي يشعر فيه الفقير أن له نصيبًا من العدالة، ويشعر فيه المثقف أن فكره مصان، ويشعر فيه العامل أن جهده مقدّر، ويشعر فيه الشاب أن مستقبله لا يُسرق من بين يديه. هو الوطن الذي لا يُهان فيه إنسان بسبب رأيه، ولا يُقصى آخر بسبب أصله، ولا يُرفع فاسد لأن له نفوذًا أو قربًا.

و حين تتنفس الأوطان حريةً، يختلف كل شيء. يزهر الحجر، وتلين القلوب اليابسة، وتتحول الآهات إلى أناشيد عمل، وتصبح الطرقات أكثر اتساعاً لأن الناس يسرون فيها مرفوعي الرؤوس. يكتب الشاعر قصيدته بلا خوف، ويزرع الفلاح أرضه وهو مطمئن، ويفتح الطالب كتابه وهو واثق أن أبواب الغد لن تُغلق في وجهه.

غير أن الحرية، مهما كانت عظيمة، ليست باباً للفوضى ولا ستاراً للعبث. إنها مسؤولية ثقيلة لا يحملها إلا شعبٌ يعرف قدرها، ويصونها بالوعي، ويحرسها بالقانون، ويربي أبناءه على احترام الآخر، وعلى أن الحقوق لا تكتمل إلا بأداء الواجبات. فالحرية إذا انفصلت عن النظام صارت فوضى، وإذا انفصلت عن الأخلاق صارت عدواناً، وإذا انفصلت عن العدالة صارت امتيازاً لفئة دون أخرى.

إن الأمم لا تُقاس بما تملك من ثروات، ولا بما تبني من أبراج، بل بما تمنح أبناءها من كرامة وحرية. فكم من وطن قليل الموارد عظيم المكانة لأنه أنصف أهله، وكم من وطنٍ غنيٍّ في خزائنه فقيرٌ في إنسانيته لأنه صادر أصوات الناس وبدد أعمارهم في الانتظار.

فالحرية روح الأوطان، إذا غابت صار الوطن جسداً بلا نبض، وإذا حضرت عاد التاريخ يكتب صفحاته المضيئة. وما أجمل وطناً يتنفس حريةً، ويمنح أبناءه حق الحلم، وحق العمل، وحق الحياة الكريمة؛ عندها فقط يكون الوطن وطناً يليق بأهله، ويليق به أهله.

بقلم:
أحمد مالية
العراق

ملحمة الألم في سجون الصمت

يا سائلي عن حكايا القيد ما الخبز
هل يُختَصِرُ هذا الأسي في سطره؟
ما بين صمت الثواني حين يخنقنا
ونار بؤس، كليل حالك مُستَعِرُ
تقف المعاجز مشلولة بلا أمل
كأنها عجزت عن نصر مُنتَظَرُ
ليست حروباً كما يهوى مزيّفها
بل انتهاك حقوق الروح والبشر
أسير فلسطين صوت لا صدى له
مكبّل الحلم، في أعماقه القهر
سلبت حقوقه، ضاعت كرامته
وصار في القيد بين الذل والصجر
ليل الزنازن لا يُصغي لصرخته
إلا صدى وجع يرجع كالشّرر
جوع يفتت أعماقاً مُعلّقة
وسوط قهر يُغذي قسوة القدر
والبرد ينهش أطرافاً بلا دفء
كأنه الحقد يجري فيه كالسعر
والقيد يكتب فوق المعصم احتراقاً
كأنه النار لم تطفأ من الحجر
لكنه، رغم هذا الليل، مُتَقَدُّ
كالشمس تولد من رمادها القدر
يُصلي بصمت، والآهات شاهدة
أن الرجاء برّب العرش مُدْخَرُ
ويزرع الصبر في أعماق محنته
كأنه الوعد في صدر له صبر
والأقسي صمت من الأصحاب قد حضروا
كأنهم لم يكونوا إخوة الخطر
أين الجواز؟ وأين العرب إن نودوا؟

أين الشهامة فيهم؟ أين مُفْتَخِرٌ؟
 نادَتْ فلسطينُ: يا أهلي، فهل سمعوا؟
 أم أنّهم غرقوا في زائف السَّيرِ؟
 يا من تُنادون باسمِ الحقِّ في خَجَلٍ
 أين الضمائرُ؟ أين النورُ في البَصَرِ؟
 أين المنابرُ؟ أين الصوتُ إن خمدتُ
 في الصدرِ أنفاسُ أحرارٍ بلا أثرِ؟
 إنَّ الأسيرَ يُنادي في زنازنه
 هل من مُجيبٍ؟ أما فيكم من الغيرِ؟
 إلى متى القيدُ يبقى في معاصمه؟
 إلى متى الظلمُ يجري مثلما النَّهْرُ؟
 إلى متى العمرُ يُفنى خلفَ مُعتقلٍ؟
 إلى متى الحزنُ المكنونُ في الصدرِ؟
 إلى متى الأمُّ تبكي في مآذنها
 وتستجيرُ بصمتِ الليلِ والسَّهَرِ؟
 إلى متى الطفلُ يشكو غيبةَ الأبِ، لا
 يلقي جواباً سوى حرقه الفِكرِ؟
 إلى متى الحلمُ مكسورٌ بأعيننا
 كأنه الطيفُ في صحراءٍ مُنكسرِ؟
 إن كان صمْتُكم درباً تسيرونه
 فسُحْقاً لدربِ بلا روحٍ ولا أثرِ
 لا يستحقُّ الذي خانَ القضيةَ أنْ
 يدعى أخاً، أو يُسامى صفوةَ البَشَرِ
 فالقضيةُ اليومَ روحٌ لا تُساومها
 ولا تُباعُ بأثمانٍ من الدررِ
 هي الكرامةُ، تاريخُ نُجسدهُ
 وصوتُ حقِّ تعالي غيرِ مُنكسرِ
 فانهض، فصمْتُك موتٌ لا نجاهَ لهُ
 والحقُّ يُبعثُ في أصواتٍ مُنتصرِ
 واكتبْ بدمعك تاريخاً يخلدنا
 فالعازُّ يُمحي بصوتِ الصادقِ الظَّفِرِ...

بقلم:
 بلعربي لينة
 • الجزائر •

صرخة صامته

صوت إنفجار دوى في أذني، كموسيقى لم يعد من الغريب علي سماعها. فتحت عيني على سقف غرفتي الذي لم ترحمه الرطوبة، لتلامس قطرة الماء الهاربة منه خدي. ألقيت نظرة على يميني...المكان فارغ.

"افتحوا الباب" صدر ذلك الصوت من الخارج لتتبعه طرقات متتالية.

أسرعت حافيا إلى الباب الذي كان بالكاد يقف على أطرافه. فتحتة، ليقابلني رجل، بزيه العسكري، تعانق كتفه بندقية ثقيلة.

نظر إلى الورقة في يده ثم نطق دون أن يرفع عينيه: "كمال أكرم، تهمة التحريض والمشاركة في المظاهرات"

ابتلعت كلماتي للحظات، ثم أدت وجهي نحو أمي التي كانت تضم يديها. حذ لساني الإنكار، لكن قلبي لم يعد يميز طعم الرهبة: "لم تخطئ.."

أخرج الأصفاد من جيبه ثم علقها أمام ناظري، لم يحتج كلمة أخرى ليشرح ماتبقى، فقد كانت حركته كافية لتفقد أمي توازنها.

وقفت لحظات، أنظر إلى أبي يركض نحوها، و زوجتي تحتضنها بين يديها. لم يتوقف عقلي عن الطنين: "كيف سأتركهم؟"

جثوت على ركبتي، أنظر إلى تجاعيد وجهها التي لم تتواني الحياة عن كتابة الهموم في طياتها. فتحت عينيها ببطئ، لم تجد الكلمات طريقها إلى حلقها، بل اكتفت بنظرة باهتة.

_ "عهد، لا تتركهم" قلت آخر ما استطاعت نفسي تحمله وأنا أحضن يد زوجتي بين قبضتي. قمت من مكاني متجها نحو الباب، لأسمع صوتها الصغير كحبال تحكم ربطتي إلى الورااء: "أبي، الوقت متأخر، إلى أين؟".

وضع الجندي أصفاده حول يدي، لم أكن أشعر ببرودتها على جلدي، فقد كانت لسعات البرد التي تطعن قلبي وأنا أنظر إلى ابنتي سام تنظر إلي ببراءة لم يدنسها بارود الحرب تنسيني حاضري.

ضمتها عهد إلى صدرها وهي تهمس إليها، عندما دفعني ذلك الجندي إلى داخل السيارة. ودعت بيبي بنظرة توقف معها قلبي عن النبض.

بعد مدة من السير...

تجلت أمامنا معالم مبنى كبير، إكتفت جدرانها بالإسمنت رداء لها، بينما برزت من فوقها أسلاك شائكة.

ارتديت ملابس، لم تكن أكثر من قطعة قماش بالية، ثم جررت إلى داخل الزنزانة.

حرك الجندي القضبان الحديدية، ليكشف عن ما خلفها. كانت جدرانها المتصدعة تروي قصصاً أصروا على طمسها، وآلاماً حرصوا على إخفاءها. سمعت صوت صرخات تتردد في المكان، سرعان ما يليها صوت لضرب عنيف. وصلت أخيراً إلى باب زنزانة الذي فتك لتوجه النظرات نحوه، نفوس كانت تنتظر لحظة الإفراج.

جلست في زاوية من زوايا المكان، أتفحص وجوههم. رجال، نساء، عجائز و حتى أطفال، ليس لهم ذنب، سوى أنهم أرادو تذوق طعم الحياة. مر يومان، لم تلامس فيها شفتي سوى رشقات محسوبة من الماء. بعد مرور شهرين تقريبا، كنا فيها كأحجار رهان ننتظر قرارا لا نملكه، أصدر القرار... في صباح ذلك اليوم عندما أتى الجندي حاملا ورقة في يده. _ "أصدر حكم بالإعدام" نطق كلماته تلك كأن شيئا لم يكن، لم يترك لنا لحظة للتفكير ليكمل بعدها: "سيعدم عشرة آلاف أسير" توقفت أطرافي عن الحركة، أحاول التقاط كلماته مرة أخرى، ربما كان مجرد وهم، ليؤكد لي صوت شيخ من خلفي: "عشرة آلاف؟" أجل لم يكن شخصا أو اثنين، ولا حتى عشرة. تجاهل الجندي كلامه وبدأ بالمناداة علينا، كانت أنفاسي تضيق مع كل إسم يذكر، لكنه لم ينسى إسمي. _ "كمال أكرم" تشنجت عضلات بطني، وأنا أتقدم بخطوات بطيئة نحو نهايتي. لم أكن أشعر بلمس الأرض على قدمي، ولا بصوت بكاء الأطفال و النساء. كنت أسمع صوتا واحدا يناديني فقط "أبي" صعدنا إلى الحافلة التي لم تجد طريقها بين الحشود. توقفت عند طريق مسدود. كان المدنيون يصيحون و هم يحملون لافتات: "لا لإعدام الأسرى" و في لحظات كنت منفصلا فيها عن الواقع، اخترق ذلك الصوت أذني. صوت كان يكفي لانتشال غريق من الموت، صوتها و هي تنطق أربع حروف: "أبي" نهضت بفرع إلى النافذة، لأجدها تنتظرنني، رفعها أبي فوق أكتافه. أحكمت ربط ذراعيها حول رقبتني، خائفة من فقدي مرة ثانية، ضممتها و يداي ترتجفان، ملأت رثتي من رائحتها، وعينا من ملامحها. كان الجميع ينتظرنني هناك، لكن الحافلة انطلقت قبل أن تسمح لي بتوديعهم. مدت لي سام يدها الصغيرة، اليد التي تمنيت لو ضممتها للأبد، و كنت سندا لها على مصاعب الحياة. لم أشعر بعدها حتى وجدت نفسي داخل ساحة كبيرة، استقرت في مركزها منصة خشبية منخفضة،

يتدلى منها حبل مشنقة ثقيل، تحركه نسيمات الرياح.
 جثونا على ركبنا ننتظر مصيرنا، إلى أن حان دوري، كان الخوف قد جف من عروقي
 لحظتها.

صعدت المنصة. أحاط الحبل برقبتي. نطقت الشهادة بصوت مسموع.

لا ألومهم، ماذا تنتظر من ذئب فتحت قفصه.

كيف لا يعدموننا والبقية قد خرسوا عن الحق.

كتموا صرخاتنا...

صوت القنابل التي تَورق مضجعنا.

لكنهم لن يستطيعوا كتم صوت الحق حين ينزل، عندها ستعود أشجار الزيتون للقيام
 مرة أخرى.

بقلم:

بن داحة عبير

•الجزائر•

في فلسطين

بيوت مهدامة وخيام ممزقة وشوارع تزرف دمعاً ودمًا.
في فلسطين لا يستيقظ الطفل عند مناداة أمه لإحتساء الحليب الدافئ، بل ليتأكد أنه مازال
حيًا.

في فلسطين لا يتقاسمون البطانيات والخبز بل يتقاسمون القهر والتشرد والضياع.
في فلسطين لا تُروى الحكايات قبل النوم، بل تُروى أسماء الشهداء، وتُعدّ النجوم عدد
الغائبين الذين لم يعودوا.
هناك، يصبح الصمت أثقل من الصراخ، والليل أطول من الأعمار التي سُرقت، وتغدو
الذكريات وطنًا صغيرًا يلوذ به من بقي.
في فلسطين، لا يكبر الأطفال على مهل، بل تُسرق طفولتهم على عجل، فيتعلمون معنى
الفقد قبل الحروف، ويحفظون أسماء المدن قبل الألعاب.
يكتبون أحلامهم على جدران مهدامة، ويزرعون الأمل في أرضٍ تعرف جيدًا كيف تُنبت
الحياة رغم الركام.

ورغم كل شيء...

يبقى القلب الفلسطيني نابضًا، كأنه يرفض الانكسار،

تبقى الأمهات تُغني للعودة،

والأرض تُقسم أن لا تنسى أبناءها،

ويظل الفجر، مهما تأخر، وعدًا لا يموت.

ويظلّ الدعاء معلقًا بين السماء والأرض

كأنه خيط نور لا ينقطع...

وتظلّ الأيدي، رغم الوجع، ممدودةً للحياة،

تُرَبّت على خوف الأطفال، وتُخفي ارتجافها خلف ابتسامةٍ صغيرة.

هناك، في قلب الألم، تولد حكايات الصمود،

حكايات لا تُكتب بالحبر، بل تُنقش بالثبات في وجه الريح.

في فلسطين، حين يضيق المكان، تتسع الروح،

وحين تشتدّ العتمة، يُشعلون من أعينهم قناديل لا تنطفئ.

يُرَمّمون ما تهدم بالحلم،

ويُعيدون ترتيب الأمل كأنه بيت لا يجوز أن يسقط.

هم يعرفون أن الطريق طويلة،

وأن الفجر قد يتأخر...

لكنهم أيضًا يعرفون أن الشمس، مهما غابت، لا تموت.
 في فلسطين،
 كلُّ حجر يروي قصة،
 وكلُّ شجرة زيتون تحفظ عهدًا،
 وكلُّ قلبٍ يحمل وطنًا كاملًا لا يُهزم.
 ولهذا...
 يبقى الصوت، رغم الخوف، حيًّا،
 وتبقى الخطى، رغم التعب، سائرة،
 ويبقى الإيمان، رغم كل شيء، أقوى من كل انكسار...

بقلم:
بشرى بولنوار
•الجزائر•

حين يصبح الوطن زنزانة والحنين جريمة

لا أحد يخبرك كيف يُصبح اسمك تهمة، وكيف تتحول ملامحك إلى دليل إدانة. في البداية كنت أظن أن السجن باب يُغلق ثم يُفتح، لكنني تعلّمت متأخرًا أن بعض الأبواب لا تُغلق على الجسد فقط، بل تُغلق على العمر كلّهُ. أنا هنا، ليس لأنني مجرم، وإنما لأنني أحببت أرضًا بصدق لم يحتمله العالم. في الزنزانة يُسلب منك كل شيء، حتى نفسك؛ يأخذون صوتك أولًا كي لا تصرخ، ثم يأخذون وقتك كي لا تحلم، ثم يتركونك لتواجه نسخة منك لم تعد تعرفها..

أتعلمون ما هو الأسر؟ الأسر أن تشتاق ليد أمك وكأنها وطن، أن تتذكر رائحتها فتبكي، ليس لأنك ضعيف، بل لأنك لم تعد تملك حق العودة إليها. أمي، هل ما زلت تضعين صحنين علي المائدة؟ هل ما زلت تتركين الضوء مشتعلًا كأنني سأعود متأخرًا؟ سأمحيني، لقد تأخرت كثيرًا هذه المرة، تأخرت حدّ أن الزمن نفسه نسي اسمي. هنا نتعلم أشياء لا تُدرّس في الحياة؛ نتعلم كيف ننام على الألم دون أن نصرخ، كيف نبتلع الدموع حتى لا نُعاقب عليها، كيف نحفظ وجوه أحببتنا كي لا تسرقها الذاكرة منا. وهنا أيضًا نكتشف الحقيقة القاسية: أن الإنسان يمكن أن يُكسر ببطء دون أن يُرى فيه أيّ كسر.

يقولون: اصبروا، والصبر جميل، لكنهم لم يخبرونا كيف نصبر على وجع يتجدّد كل صباح وكأن الليل لم يمرّ علينا، ولم يخبرونا كيف نصبر على أبواب تُفتح لا تُخرجنا، بل لتأخذ منا شيئًا جديدًا. أحيانًا أخاف أن أنسى صوتي، أن أنسى اسمي، أن أنسى أنني كنت يومًا إنسانًا يعيش، لا رقمًا يُعدّ... وأحيانًا أخاف أكثر أن أتذكر، لأن الذاكرة هنا ليست نعمة، بل سكين. نحن لا نموت مرة واحدة، نحن نموت كل يوم حين تمرّ ذكرى، حين يمرّ عيد، حين تمرّ الحياة من خارجنا دون أن تلتفت. ومع ذلك نقاوم، ليس لأننا أقوياء، بل لأن الانكسار الكامل يعني أن ينتصر السجان دون أن يُطلق رصاصة. نقاوم نعم، بذكر اسم الله في صدورنا، بصورة أم نخبئها في القلب، بحلم صغير نخاف أن نكبره فيقتل مثلنا. أكتب إليكم ليس لأطلب شفقة، فالشفقة تُهيننا، لكن لأقول: إن خلف هذه الجدران بشرٌ يشبهونكم، كانوا يضحكون، وكانوا يحلمون، وكان لهم مستقبل لم يُكمل طريقه. إن نسيتمونا فنحن لا نختفي، نحن فقط نتحوّل إلى وجع أكبر في هذا العالم، وإن تذكرتمونا فلا تبكوا فقط، ابكوا بصدق يجعل هذا العالم يخجل، ابكوا حدّ أن يشعر الصمت أنه متواطئ.

أنا هنا، لكنني لست وحدي؛ خلف كل جدار قلب ينتظر، وخلف كل صمت صرخة لم تُسمع. وإن سألتهم عنّا يومًا، فقولوا: كانوا بشرًا، لكن العالم لم يتسع لإنسانيتهم.

بقلم:

سارة

•الجزائر•

إهداء

إلى أولئك الذين علمونا أن الجدران لا تُهزم الإرادة،
وأن خلف القضبان قلوباً ما زالت تنبض بالوطن...
إلى من حملوا فلسطين في صدورهم حين ضاق بهم المكان،
فصار الصبر لهم حياة، وصارت الحرية حلمًا لا يموت.

إلى الأسرى...
أنتم الحكاية التي لا تُكسر،
والنور الذي يمرّ من بين القضبان..

إلى كل من شاركنا في هذا العمل، كتابةً، تنسيقًا،
أو دعمًا صادقًا من القلب،
وإلى كل من مدّ لنا يد العون ولو بكلمة أو فكرة أو تشجيع...
إلى من آمنوا بهذا الكتاب قبل أن يولد، فكانوا جزءًا من
ملامحه الأولى.

وإلى القارئ...
لعل هذه الصفحات لا تُقرأ فقط، بل تُوظف فيك شيئًا كان
نائمًا،

ضميرًا لم يُطفأ، وصوتًا لا يزال يعرف طريقه نحو

فلسطين..
إليكم جميعًا...

قائمة الكتاب المشاركون:

جابي صليحة	✕	زروقي عمارية
أسامة أبو الخير	✕	حسين صالحى
صفوت شاهين	✕	تمام يوسف
أحمد مالية	✕	غياث حمدي كركة
مرام أحمد السميري	✕	علاء الأورتولان
سامي جودة محمد	✕	دعاء الجمل
زهراء عبد الناصر خويطر	✕	بشرى بولنوار
رند أحمد صدوق صافي	✕	بلفار إخلاص
عبد المنعم مرعي	✕	ربى طقاطقة
سارة	✕	هناء الشبراوي
بن داحة عبير	✕	بلعربي لينة
رابعة مصطفى خالد	✕	صفاء فايز عامر